


| الجزء ٨-٩-١٠ | شهرية وسنتها عشرة اشهر | المجلد الثاني |
| --- | --- | --- |

صاحب المجلة ومديرها :

**محمد الشاذلي ابن القاضي**

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس قلم تحريرها .

**محمد المختار بن محمود**

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

**الادارة :**

نهج باشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

**المراسلات :**

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

تونس عام ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨

ثمن الجزء خمسة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

# الى قراء المجلة الافاضل

ان المجلة تختم عامها الثاني بهذا السفر الذي احتوى ثلاثة اجزائها الاخيرة وقد لاقت في سبيل انجاز ما قامت به في هذا العام الشدائد وذللت مصاعب لم تكن متوقعة الامر الذي قضى بتاخير بروز بعض الاعداد متأخرا عن موعده الشهري والسبب في ذلك يرجع الى ثقل تكاليف الطبع ووفرة نفقاته مع اهمال قسم عظيم من السادة المشتركين لدفع اشتراكاتهم حتى ادى ذلك الى صرف ما خصص لها من الاعتمادات المالية التي دفعها مؤسسوها في عامي المجلة وتهاون الباعة في خلاص ما بذمتهم حتى تخلد بذمة بعضهم جانب عظيم من المال بل ان قسما منهم لم يحاسب من العدد الاول .

فالرجاء من السادة المشتركين والباعة ان يسددوا ما تخلد بذمتهم من مال المجلة حتى تتعاون على المحافظة على هذا المشروع الجليل الذي طالما حملنا اوزارا في عدم القيام به من قبل وحتى تتمكن من السير بالمجلة على نحو ما يتمنى لها كل من يقدر قيمة هذا المشروع العلمي العظيم

وهيئة المجلة تعد قراءها الافاضل انها نحو الكمال دائبة في سيرها بمجلتهم والرقي بها الى حد المستطاع وان ما حدث في هذا العام نرجو الا يتكرر وفقنا الله تعالى وامدنا باعانته على ما فيه صالح المسلمين

(الادارة)

---

# الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس





الجزءان ٨ و ٩ | في الربيعين الاول والثاني ١٣٥٧ وفي ماي وجوان ١٩٣٨ | المجلد الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

# المولد النبوي

بمناسبة حلول يوم ولادة اشرف الكائنات ، وافضل المخلوقات ، ومنبع السعادات والكمالات ، ومطلع التجليات والفتوحات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نتقدم الى عموم المسلمين بالتهنئة ، ونرجو من الله تبارك وتعلى ان يجعله يوما يسترجع فيه الاسلام قوته ، ويستعيد فيه المسلمون عزتهم وسطوتهم ، ونخوتهم وسلطانهم . فقد طال الامد ، وعيل الصبر ، والى الله المرجع والمآب ، نعم المولى ونعم النصير

ونهني بطلعة هذا اليوم السعيد على الخصوص صاحب الجلالة سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية ، اطال الله بقاءه ، واجرى الخير على يديه وبلغه في امته ما يرجوه كل ملك صالح لرعيته

# الربـــــا (*)

بقلم رئيس التحرير

ايها السادة

سيقول بعض الناس : اننا نشاهد افراد يتعاملون بالربا وهم في حالة حسنة ، ولم يصابوا بما ذكرته من المصائب ، بل قد نمت ثرواتهم ، وتوفرت املاكهم ، وهم في بحبوحة من العيش ، فما هي العلة في ذلك ؟ وما هو السر فيه ؟

وهذه شبهة جديرة بان نعطيها حظها من البيان والكشف ، حتى لا يبقى بعد ذلك ريب لمريب ، وتقطع جهينة قول كل خطيب ، ويتميز طريق السلامة عن طريق الردى ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ، فنقول :

قد جرت سنة الله في خلقه بان الحاق العقاب بالمذنبين منهم يكون على انواع نوع يلحقه العقاب في الدنيا من غير امهال ، فيجازى عن ذنبه اثر عمله

ونوع يمهله الله تعلى زمنا طويلا ، ثم يصيبه بجزاء ذنبه في الدنيا ، فيكون مصابه عظيما ، وخطبه جسيما

ونوع لا يجازيه الله تعلى بذنبه في الدنيا ، وانما يؤخر جزاءه الى يوم الحساب . ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ) وهذا النوع هو اشد الانواع عقابا ، وافظعهم عذابا ، وقد تعرض القرءان للتحذير من الاغترار بهذا النوع ، لانه مظنة ان يشتبه امره على كثير من الناس ، فيقدموا على المعصية اقدام الآمن من عقابها ، فيكون جرمهم عند الله عظيما ، فقال الله تعلى ( ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ) (١)

---

(*) تتمة المحاضرة التي كنت القيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة

(١) المراد بالاملاء لهم تخليتهم وشانهم وهو مستعار من قولهم املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء . وفسر الامـلاء بوجه ءاخر وهو الامهال واطالة العمر . والمعنى ولا يحسبن الذين كفروا ان الامـلاء خير لهم من منعهم او من قطع ءاجالهم اذ انما وقع الاملاء لهم ليزدادوا انما يوم القيامة

وقال الله تعلى ( ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انمـا يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ❀ مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هـواء ❀ وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قـريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل مـا لكم من زوال ❀ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنـا بهم وضربنا لكم الامثـال ❀ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ❀ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ) (١)

وقال الله تعلى ( لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ❀ متـاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد ) (٢)

---

(١) قوله ( ولا تحسبن ) خطاب لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على عادة القرءان في مثل هانه المقامات . وقوله ( اليوم تشخص فيه الإبصار ) اليوم هـو يوم القيامة وشخوص الابصار عدم استقرارها في اماكنها لشدة هول ما ترى . وقوله ( مهطعين ) اي مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع معناه ان تقبل ببصرك على الشيء وتديم النظر اليه . وقـوله ( مقنعي رءوسهم ) اي رافعين رءوسهم وقوله ( لا يرتد اليهم طرفهم ) اي لا يرجع اليهم طرفهم بحيث تبقى عيونهم مفتوحة محـدودة من غير تحريك للاجفـان . وقـوله ( وافئدتهم هـواء ) اصل معنى الهواء هو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام ثم صار يوصف به فيقال قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة . ويقـال للاحمق ايضا قلبه هواء . وعليه قول زهير من الظلمان جؤجؤه هواء . لان النعام يضرب به المثل في الجبن والحمق . والمعنى في الآية كما قال ابن جرير ان افئدتهم صفر من الخير خاوية منـه وقـوله ( وقد مكروا مكرهم ) اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهـو الكفر بالله وعصيانه بفعل ما نهى عنه . وترك ما امر به وقوله ( وعند الله مكرهم ) فيه وجهان لانه اما ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله أي المكر الصـادر منهم وعليه فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجـازيهم عليه بمكر هو اعظم منه . او من أضافة المصدر الى مفعـوله اي المكر الذي سيقع عليهم بالمعنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وقوله ( وان كان مكرهم لتـزول منه الجبال ) اي وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة حتى ضرب له المثل بزوال الجبال منه وذلك لتفـاقمه وشدته . وفسر بوجه ءاخر وهو جعل إن نافية والـلام مؤكدة لها والمعنى عليه ومحال ان تزول الجبال بمكرهم . على ان الجبل مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود ( وما كان مكرهم ) وقوله ( فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ) اي ما وعدهم به من انه ينصرهم ويغلبهم على اعدائهم في قوله ( انا لننصر رسلنا ) وقوله ( كتب الله لاغلبن انا ورسلي )

(٢) قوله ( لا يغرنك ) خطاب لكل من يصلح للخطاب كما تقدم اي لا تنظر الى ما عليها الكفار من سعة الرزق واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر مـا ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد وقوله ( متاع قليل ) خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد . وقد اراد به

فقد ظهر لكم من هذه الآيات ان من يعصي الله ويكون على حالـة حسنة في الظاهر يجب على العاقل ان لا يغتر به ، وان لا يجعل من حسن حالته الآن دليلا على حسن عاقبته فانه سيجازى بما قدمت يداه ، وسيحاسب حسابا عسيرا على كل مـا فعل في دنياه ، ولعذاب الاخرة اشد وابقى

وحيث قد كشفنا لكم عن هذه الشبهة التي ربمـا تساور بعض النفـوس ، والتي نرى من الواجب ان نكشف عنها ، فلنرجع الى اتمام موضوعنا فنقول :

هذه آثار الربا ، وهذه نتيجة الاقدام على التعامل بالربا ، فهل من سبيل الى اصلاح حالتنا ، وعلاج هذا الداء العضال المحيط بنا ؟

نعم اصلاح الحـالة سهل ، وعلاج الداء ممكن ، وامر ذلك موكول الينا ، لكن بشرط وجود العزائم الصادقة ، والتصميم الصحيـح ، فاذا توفر هذا الشرط امكننا ان نعالج انفسنا بانفسنا في اقرب وقت

واني لاتعجب من كـثير من الناس يستنجدون بالحكومة لتقاوم الربـا ، فهل الحكومة دعتهم الى التعامل بالربا حتى يطلبوا منها مقاومته ، ام هم الذين اوقعوا انفسهم فيه ، جريـا مع الشهوات ، واذا كانوا هم الذين اوقعوا انفسهم في خطر الربـا فلماذا الاستنجاد بالحكومة ، وهلا كان الاولى بهم ان يستنجدوا بانفسهم على انفسهم ، فيصروا على ترك التعامل بالربا مهما كانت حاجتهم واضطرارهم ، وفي المثل : من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، اذ ليس من المعقول ان يوقع الانسان نفسه في الخطر ثم يلوم الناس على عدم انجادهم له عند وقوعه فيه

اذا فلتكن لنا عزيمة صادقة نتقي بها هذا الشر وندفع بها هذا البلاء العظيم ، الذي كان سببا في ضياع ثروتنا ، وبيع اراضينا ، والذي صيرنا فقراء اذلاء ممتهنين ونحن في

---

قلته بالنظر لما فاتهم من نعيم الاخرة . او بالنظر لما اعد الله للمؤمنين من الثواب . او انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل فهو قليل . والآية نزلت في فريق من المؤمنين كانوا يـرون ماكان عليه الكفـار من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجـوع والجهد . فرد الله بان ذلك متاع قليل ثم يكون مآلهم جهنم وبئس المهاد

عقر ديارنا ، اذ ليس هنا داء يضعف الامم ويظهرها بمظهر الذل والاحتقار مثل الفقر ، فعلينا جميعا ان نقاوم الربا بتجنبه والتحذير منه

فالفلاح الذي يملك ارضا تبلغ مساحتها مائة ماشية وليس له من المال الا ما يقدر به على زرع ماشية واحدة فليقتصر عليها

والتاجر الذي يريد ان يزاحم ديار التجارة الكبرى وليس له من المال الا ما يكفي لتعمير حانوت عطار فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يجهز ابنته كبنات الامراء والاغنياء وليس له من المال الا ما يقدر به على شراء كسوة واحدة تدخل بها يوم الزفاف فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يختن ابنه ويريد ان يقلد الاغنياء في البذخ والاسراف مع انه لا يملك الا اجرة الخاتن يجب عليه ان لا يقترض لاجل ذلك

وهكذا بقية اصناف الناس على اختلاف رغباتهم وتباين مقاصدهم ، يجب على كل واحد منهم ان يصمم على ان لا يفعل الاما يقدر عليه ، ولا يتعامل بالربا حتى في مائة فرنك واحدة

فاذا صحت هذه العزيمة ، ووقع السير على هذا المنوال ، خرجنا من هذا الداء سالمين ، وتحققت الآمال بحول الله

ولما كان رأس المال الفردي مهما كان واسعا لا يمكن أن تقام عليه حياة اقتصادية متسعة النطاق فينبغي لنا ان نفكر في تكوين رؤس اموال وافرة نتمكن بها من القيام بالمشاريع الاقتصادية الكبرى التي ترفع من قدر الامة وتعلي شانها ، ونتمكن بها من انشاء المعامل والمصانع وديار التجارة الكبرى التي نضاهي بها اكبر الامم الاروبية ، التي ابتزتنا بمصنوعاتها لوافرة ، ومنتجاتها العجيبة فصرنا عالة عليها في كل شيء حتى من الابرة نخيط بها ما يتمزق من ثيابنا ، اذ ليس من الحكمة ولا من سداد الراي ان يكون منتهى غرض الامة ان ياكل افرادها أكلا لذيذا ويشربوا شربا سائغا وينامو نوما هنيا ، بل لا بد لها من اعمال تظهر بها امام غيرها من الامم ، ولا بد لها من تكوين المشاريع التي تفاخر بها غيرها ، ولا بد لها من ايجاد الابتكارات التي ترفع بها راسها عاليا

الى عنان السماء، ولا شك ان ذلك كله يتوقف على المال الغزير، فهل نحن في حاجة الى التعامل بالربا لتكوين هذا المال الغزير؟ وهل الشارع عندما حرم على الناس ان يتعاملوا بالربا شرع لهم ما يغنيهم عنه؟ وبذلك يحصل الجمع بين الرقي الاقتصادي الذي لا بد منه، وبين اتباع الشرع الذي هو امر واجب لا محيد عنه

ايها السادة

ان الشارع سبحانه وتعلى حكيم. وهو بعبادة رؤف رحيم، لم يحرم علينـا الا ما لا مصلحة لنا فيه ويمكن لنا الاستغناء عنه، ومن جملة ذلك الرباء فقد حرمه الله علينا لاننا في استغناء عنه بما شرعه لنا مما يغني عنه، وليس فيه ضرر، ففي الشريعة الاسلامية التي هي شريعة جامعة بين الرقـي الدنيوي والاخروي عدة مشاريع لتكوين الاموال لوافرة وتنميتها، ولسنا الان بصدد ان نتعرض لكل ما جاء في الشريعـة من هذا القبيل وانما يهمنا ان نتعـرض لمشروعين فقـط يعتبران من اهم الاسباب لتكوين الاموال وتحسين الحالة الاقتصادية للامة وهما الشركة والقراض

فالشركة فهي عبارة عن ان يتفق اثنان او اكثر على وضع مال معين يدفعه كل واحد منهما بعدما يقع الاتفاق على القرض الذي يستعمـل فيه وعلى كيفية صرفه وعلى الربح الذي يقرر لكل واحد

وبذلك نتمكن من تكوين رؤس اموال كبرى تقدر بالملايين، ونقدر بها على تكوين المصانع والمعامل التي تفي بحاجتنا شيئا فشيئا حتى يمكننا الاستغناء عن الغير

ولم تترق الحياة الاقتصادية في روبا، ولم تتسع فيها الحياة المالية، ولم تات بهاته العجائب التي نشاهدها كل يوم في نمو الا بفضل الشركات اذ الرجل وحده لا يقـدر على القيام بالاعمال الكبرى، ولا على النهوض بالمشاريع الهائلة، فاذا اتحدت الهمم، واجتمعت العزائم، وتوزعت الثقة في الافراد، واطمأن النـاس بعضهم لبعض امكنهم ان ياتوا بالعجب العجاب

واما القراض فهو عبارة عن ان يتفق رجلان مثلا، احدهما له مـال ولا يقدر على العمل، والآخر فقير وله خبرة بفنون التجـارة وطرق الاكتساب، فيكون على الغني

المال وعلى الفقير العمل على النسبة التي يتفقان عليها في الربح وعلى الوجه الذي يتفقان عليه في الاتجار بذلك المال ، وبذلك ينتفع الغني بفـائدة ماله الذي لولاذلك العـامل لبقي ماله مخزونا عنده ينقص ولا يزيد ، وينتفع الفقير بفائدة خبرته ومهارتـه في فنون التجارة ولولا ذلك الغني لبقي عاطلا لا يجد قوت يومه

فاذا نظمنا هذين المشروعين العظيمين ، وهيأنا انفسنا للانتفاع بهما ، بسلوك مسالك الجد في العمل ، والتشبع بالامانة والثقة ، والوقوف في حدود العقود التي وقع التزامها امكننا ان نحصل على سعادة الدارين ، ونفوز بكلتا الحسنيين

ايها السادة

قد اشرت فيما سبق الى مسألة الثقة وانها الشرط الاصلي لنجاح جميع المشاريع واريد الآن ان عود للخوض فيها فاصرح بغاية الجلاء بـان اهم الاسباب في انحطاط الحياة الاقتصادية عند المسلمين هي انعدام الثقة ، وهذه حقيقة ولكنها مرة ، اذ قد اينا الكثير منا عند ما تناط بهم بعض المشاريع الاقتصادية يعبثون بها ، ويسيئون التصرف فيها ويستبيحون اموالها فنشا عن ذلك احجام الناس عن تقـديم اموالهم لتكوين الشركات وتاسيس المشاريع النافعة ، خوفا على اموالهم من ان تعبث بها ايدي السفهـاء ولذلك لا تكاد تجد اليوم شركة اهلية يديرها التونسيون ويتكون راس مالهـا من جيوب التونسيين لان الشركات التي كانت تاسست من قبل ءال امرهـا الى مـا قلنـاه وضاعت فيها اموال اليتامى والارامل والعاجزين من الرجال

لذلك يجب علينا قبل الشروع في تكوين هذه المشاريع الاقتصادية ان نقضي على هذا الخلق السافل الذي تخلق به الكثير منـا ، بان نتعود على الامانـة واحترام حقوق الناس ، وبذلك تصير هناك ثقة متبادلة بين جميع الناس ، حتى اذا قام بعدذلك رجل مصلح يدعو الى تكوين الشركات وتاسيس المشاريع الاقتصادية النافعة وجد النفوس على استعداد لاجابته ومد يد المساعدة اليه ، فيحصل لنـا عنـد ذلك رقي اقتصادي باهر تنهض به الامة من كبوتها ، وتسترجع شيئا من عزتهـا ، ومـا نجحت المشاريع الاقتصادية في اوربا على اختلافها الا بفضل امانة القائمين عليها وحسن ادارتهم وانتظام اعمالهم

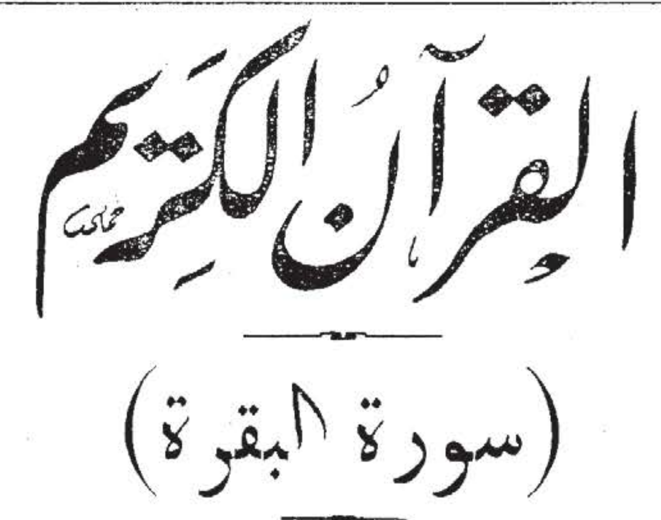
اما بقاءنا على ما نحن عليه من الفوضى والاضطراب ، واختلال طرق الاكتساب والعبث بالمشاريع العامة ، واكل اموال الناس ظلما ، والاقدام على المحرمات مع الاصرار عليها ، وانعدام الوازع الديني ووازع المروءة ، فذلك امر سيفضي - لا قدر الله - الى سوء العاقبة والسير السريع في طريق الانحطاط

هذا واننا بصفتنا مسلمين كان من الواجب علينا ان تكون الثقة من ابرز الصفات التي نتحلى بها ، لان القرءان اوصى كثيرا بالمحافظة على الثقة ومراعاة الامانة واحترام حقوق الناس ، ومن اهم الاسباب التي نجح بها المسلمون في فجر الاسلام ما كانوا عليه من الثقة والامانة والجد في العمل .

فاذا اردنا اليوم ان نسترجع تلك المنزلة السامية التي كانت من حقوقنا فعلينا بالتخلق بالثقة والامانة . فعلى الاب ان يجتهد في تكوين الثقة في ولده من حين نشأته وعلى المعلم ان يحرص على ايجاد الثقة في تلميذه من وقت صغره وعلى الصاحب ان يعود صاحبه على ذلك ومهما وجدنا رجلا عديم الثقة مختل الامانة وجب علينا ان نقاطعه وان نهجر معاملته حتى يتكون بيننا جو كله ثقة وامانة وعند ذلك تكون الاسباب قد تهيات لنعمل عملا جديا صالحا في ميدان الرقي الاقتصادي الذي هو الميدان الحقيقي لرقي الامم .

محمد المختار بن محمود





# (سورة البقرة)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

## آلمٓ ذَٰلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هذه تسميتها بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصر السلف فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من ءاخر سورة البقرة كفتاه اخرجه البخاري ، وفيه عن عائشة لما نزلت الآيات من ءاخر البقرة في الربا الخ . نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق ثم قيل هي اول ما نزل في المدينة وحكى في فتح الباري الاتفاق عليه وقيل نزلت سورة المطففين قبلها ولاشك ان سورة البقرة فيها فرض الصيام والصيام فرض في السنة الاولى من الهجرة لان النبي صلى الله عليه وسلم صام تسعة رمضانات اولها رمضان من العام الثاني من الهجرة فتكون سورة البقرة نزلت في اواخر السنة الاولى من الهجرة او اوائل الثانية

( آلم ) لقد تحير المفسرون في محمل هاته الحروف المقطعة الواقعة فواتح لبعض سور القرآن واخلق بها ان تكون مثار حيرة ومصدر اقوال متعددة وابحاث كثيرة والذي يستخلص من اقوال العلماء فيها بعد حذف متداخله وتوحيد متشاكله يؤول الى عشرين قولا تضبطها ثلاث تنويعات التنويع الاول يرجع الى انها رموز اقتضبت من كلم او جمل فكانت اسرارا يفتح غلقها مفاتيح اهل المعرفة ويبطل اقوال هذا التنويع كلها ان القرءان انما نزل للافهام عامة فلا يجوز ورود ما لا يشترك البيان في فهم ظاهره ولا ما يراد منه معنى لادليل عليه فما ظنك بورود ما لا تتفق الافهام على تاويله ولا تجمعه الضوابط ويوشك لو كان هذا هو المقصد من هاته الحروف ان يقول كل احد فيها بما يحب وكيف يزعم زاعم انها واردة في معان غير معروفة مع ثبوت تلقي السامعين لها بالتسليم من مؤمن ومعاند ولو انهم فهموا منها معروفا دات عليه القرائن لسأل السائلون وابتهج المعاندون قال القاضي ابو بكر بن العربي « لولا ان العرب كانوا يعرفون لها مدلولا متداولا بينهم لكانوا اول من انكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بل تلى عليهم حمٓ فصلت وصٓ وغيرهما فلم ينكروا ذلك مع تشوفهم الى

عشرة وحرصهم على زلة » قلت وقد سالوا عن اوضح من هـذا فقالوا وما الرحمن . التنويع الثاني يجمع الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف وضعت بتلك الهيئات اسماء او افعالا قال جماعة من فحول العلماء والمتكلمين هي اسماء للسور التي وقعت فيها قاله يزيد بن اسلم ونسب للخليل وسيبويه ونسبه صاحب الكشاف للاكثر وهو قول وجيه ويعضده وقوع هاتـه الحروف في اوائل السور فتكون هاته الحروف قد جعلت علامات على تلك السور وسميت بها كما تقول الكراس ب وكما وقع في تسمية رسوم المدونة بكلمات وقعت فيها نحو رسم الكبش ورسم الصبرة ورسم طلق ابن حبيب قال القفال قدسمت العرب بالحروف اسماء كثيرة كما سموا لاما الطائي ابا حارثة وسمو الـذهب عينا والسحاب غينـا والحوت نونا والجبل قافا وعلى هذا الاعتبار قال شريح بن اوفى العنسي أو العبسي :

يذكرني حاميـم والرمـح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقـدم (١)

يريد بحاميم سورة الشورى

وقال جماعة انها اسماء للقرءان اصطلح عليها قاله الكلبي والسدي وقتادة ويبطله انه قد وقع بعد بعضها ما لا يناسب لو كانت اسماء للقرءان نحو آلم غلبت الروم وآلم احسب الناس .

التنويع الثالث تندرج فيه الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف حروف هجاء مقصودة باسمائها لاغراض داعية لذلك فقيل ان هاته الحروف اقسم الله تعالى بها كما اقسم بالقلم تنويها به لانها عنصر الكتب المنزلة واسماء الله تعالى واصول التخاطب والعلوم قاله الاخفش وهو لطيف وقد وهن هذا القـول بانها لو كانت مقسما بها لذكر حرف القسم اذ لايحذف الا مع اسم الجلالة وبانها قد ورد بعـدها في بعض المواضع قسم نحو نٓ والقلم وحم والكتاب المبين قال صاحب الكشاف وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم واحد حتى قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ان الواو الثانية هي التي تضم الاسماء للاسماء اي واو العطف لا واو القسم وانما اجيب عن هذا بان اختصاص الحذف باسم الجلالة مختلف فيه بين النحاة وان كراهية جمع قسمين تندفع بجعل الواو التاليـة لهاته الفواتح واو العطف على انهم قد جمعوا بين قسمين قال النابغة

والله والله لـنـعـم الـفـتى حارث لا النكس ولا الخامل

وقيل هي للتهجي تبكيتا للمشركين من العرب وتعجيزا لهم وانحاء عليهم بان هذا الكتاب الذي اعجزتهم معارضته مؤلف من حروف كلامهم كانه يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لانفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بان حالهم كحال من لايعرف تقاطيع اللغة فلذلك

(١) الضمير في يذكرني راجع لمحمد بن طلحة السجاد بن عبيد الله القرشي من بني مرة بن كعب واراد بحمٓ سـورة الشورى لان فيها قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكانت دالة على قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لقريش الذين منهم محمد السجاد

يجب ان يلقنها ويتهجاها وقد ذهب الي هذا القول المبرد وقطرب والفراء ورجحه صاحب الكشاف وجمهور المحققين وهو الذي أختاره للتعليل الذي ذكرته وتظهر مناسبة وقوعها في فواتح السور بان كل سورة مقصودة بالاعجاز لان الله تعلى يقول فاتوا بسورة من مثله فناسب افتتاح ما بـه الاعجاز بمثل التانيس لمحاولته ابلاغا في التحدي ويؤيد هذا القول ان التهجي ظاهر في هـذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور امره وان التهجي معروف عندهم للتعليم فاذا ذكرت حروف الهجاء على تلـك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون انهم عوملوا معاملة المتعلم لان حالهم كحاله في العجز عن الاتيـان بكلام بليغ بقرينـة الخطاب بالتهجي لمن ليس من شـانه ان يكون مرادا تعليمه الكتابة حينـئذ يتعين ان المقصود من ذلك الاتيان التعريض به كما يقول المتكلم لمن لم يفهم مراده «ألست أتكلم بالعربية» وربما عضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القرءان الا في كهيعص وآلم احسب وآلم غلبت الروم وقيل انها علامة لاهل الكتاب وعدوا بها ليعلموا صفة القرءان وهو انه يفتتح بحروف مقطعة

وحكم النطق بها ان ينطق بها موقوفة على حكم الاسماء المسرودة اذ لم تكن معمولة لعوامل ولكن الناس قد يجعلون فاتحة احدى السور كالاسم لها فيقولون قرات حاميم السجدة كما يقولون قرات قفانبك وبانت سعاد فحينئذ قد يعامل جملة الحروف الواقعة في تلك الفاتحـة معاملة كلمة واحدة فيجري عليها من الاعراب ما هو لنظائر تلك السورة من الاسماء فلا يعرف حاميم كما قـال الكميت

قرأنا لكم في ءال حاميم ءاية  تـأولها مـنا فقيـه ومعـرب

ولا يعرب كهيعص اذ لانظير له في الاسماء افرادا ولا تركيبا واما طسم فيعرب اعراب المركب المزجي نحو حضرموت وذلك مختار صاحب الكشاف وان كان خلاف قول سيبويه في طسم وقد قال سيبويه انك اذا جعلت هود اسم السورة لم تصرفها فتقول قرأت هود للعلمية والتانيث قال لانها تصير بمنزلة امراة سميتها بعمرو ! ولك في الجميع ان تاتي به في الاعراب على حاله من الحكاية . واما اعراب هاته الفواتح مع ما يليها فاذا جعلتها حروفا للتهجي تعريضا بالمشركين وتبكيتا لهم فظاهر انها حينـئذ محكية لاتقبل اعرابا فلا إعراب لها مع ما يليها ولا معنى للتقدير بالمؤلف من هذه الحروف اذ ليـس ذلك الاعلام بمقصود لظهوره وانما المقصود ما يحصل عند تعدادها من التعريض وان قدرتها اسماء للسور او للقرءان او لله تعلى او مقسما بها أخذت احكاما مع ما يليها من الاعراب بعضها يحتاج للتقدير الكثير . فلندع الاطالة بها فان الزمان قصير . وهاته الفواتح ليست بئايات على المختار من مذاهب جمهور القراء وروي عن قراء الكوفة ان بعضها ءايات وبعضها ليست بئايات ولم يظهر وجـه التفصيل حتى قال صاحب الكشاف ان هذا لا دخل للقياس فيه وقيل جميعها ءايات وهو اللائق باصحـاب هذا القول اذ التفصيل تحكم والدليل مفقود، والصحيح انها ليست بئايات اذ لا يتعلق بها الاعجاز ولا تتصور

فيها المطابقة لمقتضى الحال ولا يعجز المتحدون عن الاتيان بكثير من امثالها فان قلت لو اتى احد بما يماثل ءايتين بالغتين حد الاعجاز وضم اليها حروفا مثل فواتح السور هل يكون ذلك معارضة نافعة قلت لا لان التحدي وقع بسورة من مثله لا بثلاث ءايات فاما ان ياتي المعارض بقدر اقصر سورة وهو ثلاث ءايات ليس فيها من هاته الفواتح شيء لان اقصر سور القرءان لم يقع فيها هذا النوع واما ان ياتي بمثل سورة اطول فان اتى فيها بمثل هذه الفواتح لم يضره لان الاعجاز حصل بالباقي

« ذلك الكتاب » اذا كان آلم تهجية حروف لتسجيل عجز المشركين عن المعارضة فالاشارة الى المعنى الحاصل من التهجي اي تلك الحروف بجنسها هي الكتاب فما اعجزكم عن معارضته فاسم الاشارة مبتدا والكتاب خبر وان كان آلم غير تهجية فالاشارة الى القرءان المعروف لديهم يومئذ واسم الاشارة مبتدا والكتاب بدل وخبره لا ريب فيه والمراد الكتاب المعروف وهو السور المتقدمة على سورة البقرة لان كل ما نزل من القرءان فهو المعبر عنه بانه القرءان وينظم اليه ما ألحق به فيكون الكتاب على هذا الوجه اطلق حقيقة على ما كتب بالفعل وهو غائب واتى باسم الاشارة للبعيد لان مثل هذا المقال يجوز فيه الاتيان باسم البعيد وباسم القريب قال الشيخ الرضي « وضع اسم الاشارة للحضور والقرب لانه للمشار اليه حسا ثم يصح ان يشار به الى الغائب فيصح الاتيان بلفظ البعد لان المحكي عنه غائب ويقل ان يذكر بلفظ الحاضر القريب فتقول جاءني رجل فقلت لذلك الرجل فقلت لهذا الرجل وكذا يجوز ذلك في الكلام المسموع عن قريب ان تشير اليه بلفظ الغيبة والبعد كما تقول والله وذلك قسم عظيم لان اللفظ زال سماعه فصار كالغائب ولكن الاغلب في مثل هذا الاشارة بلفظ الحضور فتقول وهذا قسم عظيم اه والشيخ ابن مالك في التسهيل سوى بين الاتيان بالقريب والبعيد في الاشارة لكلام متقدم اذ قال « وقد يتعاقبان ( اي اسم البعيد والقريب ) مشارا بهما الى ما وليا » ومثله في الشرح بقوله تعلى بعد قصة عيسى ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم

ثم قال ان هذا لهو القصص الحق ، فاشار مرة بالبعيد ومرة بالقريب وكلامه اوفق بالاستعمال اذ لا يكاد يحصر ما ورد من النوعين فدعوى اكثرية احدهما دعوى عريضة واذا كان كذلك كان حكم الاشارة الى الغائب غير الكلام مثل الاشارة الى الكلام في جواز الوجهين لكثرة كليهما ايضا كثرة تربو عن دعوى التوازن فاذا كان الوجهان سواء كان ذلك الاستعمال مجالا لتسابق البلغاء ومراعاة مقتضيات الاحوال ونحن قد رايناهم يتخيرون في مواقع الاتيان باسم الاشارة ما هو اشد مناسبة لذلك المقام فدلنا على انهم يرمون الى اغراض لا قبل لتعرف المخاطبين اياها الا اذا

كان الاستعمالان سواء في اصل اللغة ليكون الترجيح لاحد الاستعمالين دالا على معنى قال خفاف بن ندبة (١)

اقول لـه والـرمح يأطر متـنه    تأمل خفافا انني انا ذلك (٢)

فانه اشار بذلك الى لفظ خفاف المشهور لدى الاقران والذائع الصيت بين الشجعان يقول له انا ذلك المسمى فجاء باسم البعيد للتعظيم ولولا ذلك لكان الاتيان باسم القريب اجدر لانه حاضر

فالاشارة في الآية بلفظ البعيد مقصود منها الاهتمام بالكتاب وانه لعظم شانه كانـه مما لا تتناوله الانظار بسهولة وقد شاع في العرف عند العرب ضرب المثل للامـر العسير المنـال بالشيء البعيد يقولون هو بمناط الثريا واين الثريا من الثرى فالكتاب هنا لما ذكر في مقام تسجيل عجزهم عن معارضته على احد الوجهين المتقدمين كان حاله بالنسبة لتناولهم معارضته كحال الشيء البعيد عن الانظار او هو في مقام نفي الريب عنه على ثاني الوجهين المتقدمين بمحل البعد الاعتباري وهو الرفعة وعظم الشان فهو بعيد عمن يتناوله بهجر القول وهذا بخلاف مقام قوله تعلى وهذا كتاب انزلناه مبارك ونحوه فهو للاشارة الى الكتاب باعتبار كونه بين يدي اهله وحملته لترغيبهم في العكوف عليه والاتعاظ باوامره ونواهيه ، وكان صاحب الكشاف قد بنى على مثل ما بنى عليه الرضي فلم يعد في قوله تعالى ذلك الكتاب تنبيها على التعظيم فالله در صاحب المفتاح اذ لم يغفل ذلك فقال في تعريف المسند اليه بالاشارة ( وأن يقصد ببعده تعظيمه كما تقول في مقـام التعظيم ذلك الفاضل واولئك الفحول وكقوله عـز وجل آلم ذلك الكتاب ذهابا الا بعده درجة اه )

فاقتصر على احد وجهين في نكتة الاتيان باسم الاشارة البعيد ، ثم انه على تقدير كون اسم الاشارة خبرا لحروف آلم او كونه مبتدأ والكتاب بدل فليس في التركيب حصر لانـه على تقدير كون ذلك خبرا فهو خبر عن جنس الحروف فلا قصد للحصر وان صح اعتباره اذ الكتاب لا يتجاوز كونه مؤلفا من جنس الحروف ، والكتاب فعال بمعنى المكتوب كاللباس والعماد

واشتقاقه من كتب بمعنى جمع وضم لان الكتاب تجمع اوراقـه او حروفه ومنـه سميت الكتيبة

---

(١) خفاف بضم الخاء وتخفيف الفاء هو خفاف ابن عمر وامه ندبة بفتح النون وسكون الدال امة سوداء وخفاف احد فرسان العرب وشعرائهم ممن لقب بالغراب واغربة العـرب سودانهم وهم خمسة جاهليون وثمانية مسلمون فامـا الجاهليون فهم عنترة . وخفاف . وابو عمير بن الحباب . وسليك بن السلكه . وهشام بن عقبة بن ابي معيط . وخفاف وهشام ادركا الاسلام وعدا في الصحابة وشهد خفاف فتح مكة وابلى البلاء الحسن . واما الاغربة المسلمون فهم تأبط شـرا والشنفرى عمر ابن فراقة . وعبد الله بن حازم . وعمير بن ابي عمير وهمـام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر ابن ابي اوفى وحاجز بحاء ثم جيم ثم زاي معجمة غير منسوب

(٢) يأطر مضارع أطر كنصر وطرب بمعنى أحنى وكسر

كتبية وتسمية القرءان بالكتاب مشيرة الى وجوب كتابته لحفظه فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم كتابة كل ما ينزل من الوحي وجعل للوحي كتابا

( لا ريب فيه هدى للمتقين ) حال من الكتاب على الوجه الاول في موضع جملة ذلك الكتاب او خبر على الوجه الثاني فالريب هنا الشك ، واصل الريب القلق واضطراب النفس وفي الحديث انه راى ظبيا في الحمى فقال لايربه احد بشيء وريب الزمان وريب المنون نوائبهما ولما كان الشك يلزمه اضطراب النفس وقلقها اطلق عليه الريب فصار حقيقة عرفية يقال رابه الشيء اذا شككه فهو متعد ويقال ارابه كذلك اذ الهمزة لم تكسبه تعدية زائدة فهو مثل بان وابان وقد قيل ان اراب اضعف من راب لان ارابه بمعنى قربه من ان يشك قاله ابو زيد وعلى التفرقة بينهما قال بشار

اخوك الذي ان ربته قال انما  اراب وان عاتبته لان جانبه (١)

وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك اي دع ما يقربك من الشك في الحرمة الى ارتكاب الامر الذي لا يتطرق اليه احتمال الشك ، وقد نفى الريب بلا النافية للجنس وقرئى بفتح ريب وضمه وكلاهما نفي للجنس الا ان الفتح نفي له على سبيل التنصيص والرفع نفي له بلا تنصيص فان كانت الاشارة في قوله ذلك الكتاب الى التهجي المستفاد من حروف آلم على طريقة التعريض بالمتحدين وكان قوله الكتاب خبرا لاسم الاشارة فقوله لا ريب نفي لريب خاص وهو الريب الذي يعرض في كون هذا الكتاب مؤلفا من حروف كلامهم فكيف عجزوا عن معارضته فنفي الجنس فيه حقيقة وليس بادعاء فيكون قوله لا ريب منزلا منزلة التاكيد لمفاد الاشارة في قوله ذلك الكتاب وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون المجرور وهو قوله فيه متعلقا بريب على انه ظرف لغو والظرفية المستفادة من في ظرفية مجازية اي لا ريب يحف به فيكون الوقف على قوله فيه ويجوز ان يكون قوله فيه خبرا للمبتدا الواقع بعده وهو هدى للمتقين فيكون الظرف ظرفا مستقرا والظرفية ظرفية عرفية قريبة من الحقيقية ويكون خبر لا محذوفا لظهوره اي لا ريب موجود كما هو مستعمل كثيرا في امثاله نحو قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وقول سعد بن مالك

من صد عن نيراننا  فانا ابن قيس لا براح

اي لا خفاء في ذلك وهو استعمال حجازي فصيح فيكون الوقف على قوله لا ريب ، وقد ذكر في الكشاف ان نافعا وعاصما وقفا على قوله ريب وان كانت الاشارة الى الكتاب المعهود وكان قوله الكتاب بدلا من اسم الاشارة فالمجرور في قوله فيه ظرف لغو متعلق بريب والظرفية ايضا مجازية وخبره محذوف على الطريقة الكثيرة في مثله والوقف على قوله فيه ، ومعنى نفي وقوع الريب في

(١) اي ان فعلت معه ما يوجب شكه في مودتك راجع نفسه وقال انما قربني من الشك ولم اشك فيه اي التمس لك العذر

الكتاب على هذا الوجه نفي الريب في انه كتاب منزل من الله تعالى لان المقصود خطاب المرتابين في صدق نسبته الى الله تعلى وذلك بتنزيل ارتيابهم منزلة العدم لان في دلائل الاحوال مـا لو تأملـوه لزال ارتيابهم فنزل ذلك الارتياب مع دلائل بطلانه منزلة العدم قال صاحب المفتاح « ويقلبون القضية مع المنكر اذا كان معه ما اذا تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق وقوله عز وجل في حق القرآن لا ريب فيه وكم من شقي مرتاب فيه وارد على هذا » يعني فيكون المركب الدال على النفي المذكور للريب مستعملا في معنى عدم الاعتداد بالريب لمشابهة حال المرتاب في وهن ريبه بحال من ليس بمرتاب أصلا على طريقة التمثيل ومن المفسرين من فسر قوله تعالى لا ريب فيه على تقدير كون المجرور ظرفا مستقرا وجعل الظرفية المستفادة من حرف في ظرفية عرفية قريبة من الحقيقة بمعنى انه ليس فيه ما يوجب ارتيابا في صحته اي ليس فيه اضطراب ولا اختلاف فيكون الريب هنا مجازا في سببه ويكون المجرور ظرفا مستقرا خبر لا فينظر الى قوله تعلى افـلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . وهو تفسير بعيد لان اطلاق الريب على ما يوجب الريب غير معروف عندهم وبهذا البيان يظهر وجه العدول عن تقديم المجرور بان يقال لا فيه ريب اي بخلاف غير القرءان من كتب أهل الكتاب ومخالفة طريقة قوله تعلى لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون اي بخلاف خمور الدنيا إذ ليس الحصر في قوله لا ريب فيه بمقصود لان المقام خطاب للعرب المتحدين بالقرءان لا لاهل الكتاب على ان مئآل المفاد من الحصر حاصل هنا بطريق ءاخر غير طريق الحصر لان قوله آلم رد على العرب المنكرين كونه من عند الله بما يناسب حالهم وهو العجـز عن معارضته مع انهم اهل الفصاحة والبلاغة وقوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مؤذن بكماله وبلوغه الدرجة القصوى من بين نظائره فيكون تعريضا باهل الكتاب المكذبين كونه من عند الله وقـوله لا ريب فيه تعريض بما يلهجون به من كتبهم المحرفة على وجه يستنزل طائـر مكابرتهم للنظـر في تتبع ءاياته هل يجدون فيها ما يدعو الى الارتياب ويستطير جائم اعجابهم بما بين ايديهم من كتبهـم حتى يتأملوها على بصيرة فيعلموا تناقضها واضطرابها فان الشك في الحقائق رائد ظهورها والفجر الكاذب بين يدي طلوع الشمس بشير سفورها .





## ما أنزل الله داء الا انزل له شفاء

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
ما انزل الله داء الا انزل له شفاء ( رواه بخاري )



### الدواء من الاسباب

قال في الفتح وحصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش مع اعتقاد ان ذلك باذن الله وبتقديره وانها لا تنجع بذواتها بل بما قدره الله سبحانه فيها قلت وهذا صريح في ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله فيها وذلك مذهب بعض السلف قال في روح المعاني مذهب السلف ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله فيها ولكن باذنه واذا لم يأذن وحال بينها وبين التأثير لم تؤثر كما يرشد لذلك قوله تعلى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ولو لم يكن في هذه الاسباب قوى اودعها العزيز الحكيم لما قال سبحانه وتعلى يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اذ ما الفائدة في القول وهي ليس فيها قوة الاحراق وانما الاحراق منه تعلى بلا واسطة

### مذهب الاشاعرة

اما الاشاعرة فالمشهور عنهم انها اسباب عادية في امثال هذا الموضع فلا تاثير للماء عندهم في الري اصلا وانما المؤثر هو الله تعلى عند الاسباب لا بها قالوا ومن اعتقد ان الله تعلى اودع قوة الري فيها مثلا فهو كمن اعتقد ان السبب مؤثر بنفسه فالواجب ان يعتقد المكلف ان الري جاء من جانب المبدا الفياض بلا واسطة وصادف مجيئه شرب الماء من غير ان يكون للماء دخل في ذلك بوجه من الوجوه سوى الموافقة الصورية

### الاسباب مع التوكل

قال الشهاب القرافي في الفرق السابع والخمسين بعد المايتين المحققون على ان الاحسن ملابسة الاسباب مع التوكل للمنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعلى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الخيل فامر بالاستعداد مع الامر بالتوكل في قوله جل اسمه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وكان يطوف على القبائل ويقول من يعصمني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل عليه قوله جل وعلا والله يعصمك من الناس واما المعقول فان الله تعلى رتب ملكه على عوائد ارادها واسباب قدرها وربط بها ءاثار قدرته ولو شاء لم يربطها فجعل الشبع بالاكل والري بالشرب والاحراق بالنار والحياة بالتنفس فمن طلب من الله تعلى حصول هذه الاثار بدون اسبابها فقد اساء الادب مع الله تعلى بل يلتمس فضله في عوائده

## الخلق ثلاثة اقسام

ثم قال الشهاب وقد انقسمت الخلائق في هذا المقام ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعلى باعتماد قلوبهم على قدرته مع اهمال الاسباب والعوائد فهولاء حصل لهم التوكل وفاتهم الادب مع الله تعلى وهم جماعة من العباد احوالهم مسطورة وقسم لاحظوا الاسباب وأعرضوا عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام وربما وصلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله تعلى والقسم الثالث اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعلى وطلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الاسباب مسببها وميسرها فجمعوا بين التوكل والادب وهؤلاء النبيون والصديقون وخاصة عباد الله تعلى والعارفون بمعاملته جعلنا الله منهم فهؤلاء خير الاقسام والادب التماس فضل الله تعلى في عوائده ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالدواء والحمية

## اشكال وجوابه

قلت يرد على هذا ان كثيرا من السلف الصالح المقطوع بكماله وفرط ادبه مع الله تعلى اعرض عن الاسباب تصحيحا للتوكل فقد روي عن الامام احمد بن حنبل انه يكون به علل ولا يخبر بها الطبيب ويقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وحكى القاضي عياض عن الحسن بن نصر السوسي من فقهاء المالكية ان ابنه قال له في سنة غلا فيها السعر يا ابت اشتر طعاما فاني ارى السعر قد غلا فامر ببيع ما كان بداره من الطعام ثم قال لابنه لست من المتوكلين على الله وانت قليل اليقين كان القمح اذا كان عند ابيك ينجيك من قضاء الله تعلى عليك من توكل على الله كفاه

والجواب من وجهين اولهما يوخذ مما قرره شيخ الاسلام في كتاب مدارج السالكين من ان العبد يعرض عن الاشتغال بالسبب لتصحيح التوكل بامتحان النفس لان المتعاطي للسبب قد يظن انه حصل التوكل ولم يحصله لثقته بمعلومه فاذا أعرض عن السبب صح له التوكل وكانما يشير لهذا الامام احمد

بقوله احب لمن اعتقد التوكل ترك التداوي من شرب الدواء وغيره . نعم هاته الطريقة صارت فتنة لطائفتين طائفة ظنتها طريقا ومقاما فعملوا عليها فمنهم من انقطع ومنهم من رجع ولم يمكنه الاستمرار عليها بل انقلب على عقبيه وطائفة قدحوا في اربابها وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل ومدعين لانفسهم حالا اكمل من حال رسول الله صلى عليه وسلم واصحابه اذ لم يكن منهم احد قط جعل ذلك ولا اخل بشيء من الاسباب والجواب الثاني يؤخذ مما قرره الشيخ ابو اسحاق الشاطبي حيث قال الدخول في الاسباب والالتفات الى المسببات له ثلاث مراتب احداها ان يدخل فيها على ان السبب فاعل للمسبب ومولد له فهذا شرك او مضاه له والعياذ بالله تعلى الثانية ان يدخل في السبب على ان المسبب يكون عنده عادة وحصوله طلب المسبب عن السبب لا باعتقاد الاستقلال بل من كونه موضوعا على انه سبب لمسبب فالسبب لابد ان يكون لمسبب لانه معقوله والالم يكن سببا فالالتفات للسبب من هذا الوجه ليس بخارج عن مقتضى عادة الله تعلى في خلقه ولا مناف لكون السبب واقعا بقدرة الله تعلى الثالثة ان يدخل في السبب على ان المسبب من الله تعلى لانه المسبب فيكون الغالب على صاحب هذه المرتبة اعتقاد انه مسبب عن قدرة الله تعلى وارادته من غير تحكيم لكونه سببا وحاصله يرجع الى عدم اعتبار السبب في المسبب من جهة نفسه واعتباره فيه من جهة انه مسبب وذلك صحيح

## حكم الدخول في الاسباب

ثم الدخول في الاسباب لا يخلو اما ان يكون منهيا عنه اولا فان كان منهيا عنه فلا اشكال في طلب رفع التسبب وان كان غير منهي عنه فلا يطلب رفع التسبب في المراتب الثلاث اما الاولى فاذا فرضنا ان نفس التسبب مباح او مطلوب على الجملة فاعتقاد المعتقد لكون السبب هو الفاعل معصية قارنت ما هو مباح او مطلوب فلا يبطله واما الثانية فظاهر ان التسبب صحيح لان العامل فيها اذا اعتمد على جريان العادات وكان الغالب فيها وقوع الاسباب عن مسبباتها وغلب على الظن ذلك كان ترك التسبب كالقاء بيد الى التهلكة او هو هو وكذلك اذا بلغ مبلغ القطع العادي فواجب عليه ان يتسبب ولاجل هذا قالوا ان المضطر اذا خاف الهلكة وجب عليه السؤال والاستقراض او اكل الميتة ونحوها ولا يجوز ان يترك نفسه حتى يموت ولذلك قال مسروق رضي الله تعلى عنه من اضطر الى شيء مما حرم الله عليه فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واما الثالثة فالتسبب فيها ايضا ظاهر لا غبار عليه

## نظر الشاطبي

قال الشاطبي رحمه الله تعلى بعد هذا التقرير وبسطه والذي يظهرلي في المسألة نظر اخر وهو ان الواجب على كل مؤمن ان يعتقد ان الاسباب غير فاعلة بنفسها وانما الفاعل مسببها سبحانه

وتعلى لكن عادته في خلقه جارية بمقتضى العوائد المطردة وقد يخرقها اذا شاء لمن شاء فمن حيث كانت عادة اقتضت الدخول في الاسباب ومن حيث كانت الاسباب فيها بيد خالق المسببات اقتصت ان للفاعل ان يفعل بها وبدونها وقد يغلب على المكلف احد الطرفين فان غلب الطرف الاول وهو العادي فهو ما تقدم وان غلب الثاني فصاحبه مع السبب او بدونه على حالة واحدة وكل واحد فقيه نفسه ، قلت فمن ءانس من نفسه انه من اهل المرتبة الثانية فهو من التطبب والتداوي في حل ومن كان من اهل المرتبة الاولى فعليه بالتداوي والطب لا محالة وكل احد في المقام الذي اقامه الله فيه ففي حكم ابن عطاء الله « ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية »

## الطب نوعان

والطب نوعان نوع لا يحتاج الى فكر وتطويل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن حد الاعتدال ومداره على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن الموذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرءان فالاول من قوله تعلى فمن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر ابقاء على الجسد وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله سبحانه وتعلى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه سيدنا عمرو بن العاص جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد عليه واقره صلى الله عليه وسلم والثالث وهو استفراغ المادة الفاسدة من قوله تعلى او به اذى من راسه ففدية فانه أشير بذلك الي جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس ، وفي العجائب للكرماني قال طبيب نصراني لعلي بن الحسين بن واقد العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان وليس في كتابكم من علم الطب شيء فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف ءاية قال وما هي قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ، وما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لم يصح رفعه اليه بل هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب ، وفي الاحياء مرفوعا البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسد ما اعتاد وتعقبه العراقي قائلا لم اجد له اصلا وفي روح المعاني اخرج في الدر المنثور عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تشتكي فقال لها ياعائشة الازم دواء والمعدة بيت الادواء

وعودوا البدن ما اعتاد ولم يتعقبه احـد وعلى كل حـال فالاحاديث الصحيحة متضافرة في ذم الشبع وكثرة الاكل وذلك الطب كله

## الطب علم وعمل

قال العلامة العيني الطب علم وعمل فالعلم معرفة المرض المقصود وهو موضوع في الفكر الذي بـه التدبير والعمل هو خروج ذلك الموضوع في الفكر الى المباشرة بالحس والعمل باليد . قلت وهو مشروط بان لا يكون منهيا عنه فلابي داود من حديث ابي الدرداء ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . وقد اختلف علماؤنا الحنيفة في التداوي بالمحرم وظاهر المذهب المنع كما في كتاب الرضاع من البحر وفي الحاوي قيل يرخص اذا علم فيه الشفاء ولم يعلم دواء ءاخر كما رخص الخمر للعطشان وعليه الفتوى وهو الذي انفصل عليه في الخانية واختـاره صاحب الهداية في التجنيس قـال سيد المحققين المولى ابن عابدين قد اشترطوا في التداوي بالمحرم العلم بكونه شفـاء ولم يعلم دواء ءاخر وصرحوا بان قول الاطباء لا يحصل به العلم والظاهر ان التجربة يحصل بها غلبة الظن خاصة دون اليقين ولعلهم أرادوا من العلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم ومما يؤيدان الحاصل انما هـو غلبة الظن ان المريض يتداوى من داء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فلا ينجع فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا فلا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس بمركب فيقع الخطأ من هنا وقد يكون متحدا ولكن يريد الله ان لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الاطباء والحاصل ان حصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب وهو ينجع في ذلك في الغالب وقد يتخلف لمانع نعم الاسباب تختلف بقدرة الله تعلى قوة وضعفا

## كلام الله شفاء

ومن اقوى الاسباب كلام الله تعلى قال جل شانه وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فقد ذهب بعض اهل التفسير الى ان من للتبعيض واختير في توجيهه انه باعتبار الشفاء الجسماني وهو من خواص بعض الآيات دون بعض كالفاتحة وءايات الشفاء والآثار في ذلك كثيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرءان فلا شفاه الله

وفي التذكرة ان من الامور والرقى ما يشفي بخاصية روحانية وهو مـا نص عليه الاندلسي في مفرداته وقال ان من ينكر ذلك لا يعبأ به فقد اعترف به حذاق الاطباء

## لا باس بالرقى

وروي عن امام دار الهجرة رضي الله عنه انه لا بأس بتعليق الكتب التي فيهـا اسماء الله تعلى على اعناق المرضى على وجه التبرك قـال في شرح منظومة الادب وعنى بذلك انـه لا بأس بالتعليق

رجاء الفرج كالرقى التي وردت السنة بها من العين التي هي من أعظم الامراض فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انها تدخل الرجل القبر والجمل القدر قال العلامة الالوسي ومما يدفع ضررها قراءة قول الله تعلى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ) واضافة الضرر للعين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التاثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شيء فتتوجه اليه نفسه فتفسده قال المناوي وقد يصيب الانسان عين نفسه ومن هنا يعلم فساد ما قاله بعض اصحاب الطبائع من انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره لانه لا يتم فيما لم يره ولا يقتل الصل سمه

## التنويم المغناطيسي

نعم لا ننكر ان في النفوس قوة تشبه في تاثيراتها القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من رأسه الى قدمه فيصرعه كالمغشي عليه وربما يقف وراءه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذاك بما لا يتكلم به في وقت ءاخر بل ربما اخبر بما هو غائب عنه وقد شاهدنا شيئا من ذلك ولله في خلقه اسرار تتحير فيها العقول

## الصدقة والدعاء

ومن الاسباب القوية ايضا الصدقة والدعاء فانهما الترياق المجرب للشفاء ورفع البلاء واني شاهد صدق نجعهما وأثر من ءاثار بركتهما الا ان الاجدر بذي الهمة الرفيعة ان يتحرى بهما محالهما ويقوم بهما كما وصف في الشريعة واجدر محل بالصدقة الفقير الضعيف كما ان ارجى محل لاجابة الدعاء بيت الله ومجلس الحديث الشريف فلنهرع للدعاء راجين من الله تعلى الاجابة ولنقل بصدق واخلاص وانابة

## الدعــاء

يا الله يا من لا الاه لنا سواه انا نحمدك ونشكرك على نعمك الضافيه . ونخص من بينها نعمتي الاسلام والعافية . ونستهديك افضل الصلاة وازكى التسليم . على عين الرحمة وصاحب الخلق العظيم . وعلى آله واصحابه اجمعين . وكل من تبعهم الى يوم الدين . اللهم ابدل عسرنا باليسر . وانشر على الاسلام اعلام العز والنصر . فقد ضاقت بنا الارض وليس لنا عدة . فاذقنا بمحض فضلك حلاوة الفرج بعد الشدة . اللهم انــا بسطنا اليك اكف الضراعة خاشعين . فارحم ءاباءنا وسلفنا ومشائخنا وجميع المسلمين . اللهم اختم لنا بالسعادة . وبلغنا فيما يرضيك ءامالنا وزيادة . بجاه نبيك الكريم المقدس لك بقوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

# دفع اشكال

## في حديث نبوي

سألني احد ابناءي الافاضل من شيوخ العلم بجامع الزيتونة عن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سألت ربي ان لا يسلط على امتي عدوا من سوى انفسهم) هل هو حديث صحيح او لا وكيف اذا ظهر صحيحا يستقيم معناه فانا نرى ونسمع ان المسلمين قد تسلط عليهم غير مرة اعداء من غيرهم مثل ما حل بالمسلمين في بلاد الاندلس وهل يستقيم ان نؤوله بان العدو ما سلط على الامة في كل مرة الا بمعونة خيانة من المسلمين انفسهم وخذلان بعضهم بعضا فيكون ذلك التسليط في المعنى من انفس المسلمين

فأجبته حين السؤال بما حضرني بما يدفع الاشكال ، وذلك بعض ما يشتمل عليه هذا المقال ، ثم بدالي ان ازيده بيانا وتحقيقا ، ليكون فهم هذا الحديث فهما وثيقا ،

سند هذا الحديث هو حديث صحيح رواه مسلم وغيره واللفظ الصحيح هو ما في مسلم عن ثوبان مولى رسول الله قال قال رسول الله « ان الله زوي لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت ( وفي رواية واعطاني ) الكنزين الاحمر والابيض ( يعني الذهب والفضة وقيل اراد الشام والعراق ) واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ) ورواه ابو داود والترمذي واحمد بن حنبل وابن ماجة وابن حبان عن ثوبان بأطول من هذا يزيد بعضهم على بعض . وهذا الحديث مع اشكاله لم يتناوله شراح الحديث عياض والنووي والابي من شراح مسلم وابن العربي في شرح الترمذي والخطابي في شرح كتاب ابي داود بما يستحقه من البيان بل تراهم اعرضوا عن بيان المراد منه وموافقته لما ظهر من الحوادث وقصدنا الاقتصار على محل الاشكال من رواية مسلم

معناه الذي أرى ان هذا الحديث مسوق للبشارة والتحذير معا وانه جاء على نسق سنن البلاغة النبوية بايجاز بديع وانه يدل على ان رسول الله دعا ربه دعوة استجيبت له فاراد ادخال السرور بها على امته ليعلموا كرامتهم على الله ويزدادوا معرفة بقدر رسولهم وقد دل على ان الدعوة مستجابة قوله

في ءاخر الحديث فيما يرويه عن ربه واني اعطيت لامتك ان لا اسلط عليهم عدوا الخ وفيه تحذير مما يخشى وقوعه بين المسلمين من التقاتل وله نظائر في التحذير كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض والتسليط في كلام العرب هو الغلب قال الله تعلى ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم واشتقاقه من السلاطة وهي الشدة يقال فلان سليط اللسان اي خبيث القول ومنه اشتقت السلطة والسلطان وقد اريد بالتسليط هنا الشدة وهو تسليط الاهلاك والاستئصال بدليل مجيء فاء التسبب الجعلي عقبه في قوله فيستبيح بيضتهم فيعود الكلام الى معنى وان لا يستبيح عدوهم بيضتهم والنكتة في ابتداء الدعاء بنفي التسليط ثم تعقيبه بنفي الاستباحة هي التأدب باسناد الفعل المطلوب الى الله تعلى وان العدو اذا لم يسلطه الله لا يستطيع استباحة بيضة المسلمين والسين والتاء في الاستباحة للصيرورة مثل قولهم استقام الامر اي صار قيما فالمعنى فتصير بيضة المسلمين مباحة لهذا العدو المسلط والاباحة في الاصل المكنة قال الشاعر

ابحنا حيهم قتلا واسرا    خلا الشمطاء والطفل الصغير

وضدها الحرمة وهي المنع ومنه وصف البلد بالحرام ومعنى صيرورة البيضة مباحة ان لا يبقى لها من القوة والعزة ما يمنع العدو من تناولها والتمكن منها والبيضة هنا الجامعة واصل البيضة لامة الحرب التي تلبس على الرأس لتقيه ضرب السيوف مثل المغفر ثم اطلقت على العزة مجازا مرسلا لانها سبب العزة في الحرب للابسها ان يكون ءامنا من تلاف نفسه ثم اطلقت على الامر الذي تجتمع عليه الامة وبه قوامها وبقاؤها ومن ذلك قول العلماء من شرط الخليفة ان يكون قادرا على حماية البيضة والجامعة في اعتبار الاسلام هي جامعة الدين فلا التفات الى القبائل والاحياء ولا الى الاوطان والامم لكن الجامعة الاسلامية لما كانت حاصلة في جماعة المسلمين وكانت جماعة المسلمين لا غنى لها عن الاستقرار في مكان فوطن الاسلام وبلاد الاسلام هو الارض التي يقطنها طوائف من المسلمين فالتأمن من معنى الكلام ان الرسول سأل الله ان لا يسلط العدو على الامة تسليطا يتمزق به اهابة الجامعة الاسلامية فليس المراد ان لا يسلط العدو على بعض المسلمين في بعض الاقطار او في بعض الايام لان سنة الله في هذا الكون ان الدنيا دول والحرب سجال وان الامور موكولة الى اسبابها وعوارضها فقد هزم المسلمون في زمن الرسول في بعض الوقائع كما قال تعلى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وانما المراد ان لا يسلط عدوا على جميع الامة فيستاصلها بقرينة قوله قبله ان لا يهلكهم بسنة عامة اي بقحط يعم جميع بلاد الاسلام حتى يستاصلهم فلا يمنع ذلك من حصول قحط في بعض الجهات يهلك طوائف من الناس فقد كان قحط عام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه وكان غيره بعده ونظير هذا ان رسول الله سأل ربه غير مرة دعوات مرجعها الى حماية هذه الامة من اسباب الاستيصال فقد امن الله امة محمد من الخسف ومن الهلاك بالريح ونحو ذلك مما اهلكت به الامم البائدة ومن حديث

البخاري ان رسول الله قال سألت ربي ان لا يهلك امتي بعذاب من فوقهم او من تحت ارجلهم فاستجاب لي وسألته ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فاستجاب لي .

وفي الصحيح انه لما نزل قوله تعلى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم - قال رسول الله أعوذ بسبحات وجهك الكريم - او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم لباس بعض قال رسول الله هذه اخف فالرسول عليه السلام حريص على ان لا يصيب الامة شيء يستاصلها لان ذلك يقطع اعظم شيء عند الرسول وهو توحيد الله وعبادته الا ترى قوله يوم بدر وهو في العريش اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض . وذلك ان الامم الماضية اصابهم الاستيصال بانواع المهلكات من نحو الغرق لقوم نوح والريح لعاد والخسف لاهل سدوم والصاعقة لثمود وسيل العرم لسبا والصيحة لمدين فباد جمهم وهلكوا والاستئصال بالسيف لبني اسرائيل على ايدي السريان في مدة بختنصر ثم على ايدي الرومان في زمن طيطس حتى استبيحت بيضتهم وزالت جامعتهم الى اليوم والمراد بالعدو المعادي اي المخالف الحنق وهو هنا عدو الدين بقرينة مقابلته بمجموع الامة الاسلامية وقوله من سوى انفسهم اي من غير قومهم لان الانفس في مثل هذا المقام يراد به الصميم والقوم والمراد هنا القومية الدينية لا القبيلية فيجوز ان يكون هذا الوصف لقوله عدوا وصفا كاشفا اذ العدو لا يكون الا من غير القوم اي عدوا من غير المسلمين وحينئذ فليس فيه ما يقتضي ان يسلط على لمسلمين عدو منهم يستاصلهم ويجوز ان يكون وصفا مقيدا لقوله عدوا معاديا لهم من انفسهم فيكون المعنى على تاويل عدو لبقيتهم اي فريق من المسلمين يكون عدوا لبقيتهم فيكون رسول الله دعا الله دعوة لاحظ فيها حق الادب مع الله لان سنة الله في خلقه ان لا تسلم امة من عدو يناويها فسال الله ان يسلمها من عدو شديد العداوة يستاصلها ويهينها لان غلبة العدو التام العداوة غلبة مشتملة على اهانة بخلاف غلبة العدو الذي له بالمغلوب صلة واقتراب فانها لا تخلو من رحمة وتجنب للاهانة كما قال البحتري

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وترأ عن نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت رماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

وكما قال الحماسي لما اراد القود من اخيه حين قتل ابنه ثم القى السيف من يده وقال

اقول للنفس تأساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف عن فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وعليه فليس المراد من تسليط العدو الذي هو من انفس الامة تسليط الاستيصال لان ذلك غير متوهم في العرف ان يصدر من متسلط من انفس القوم ويدل لذلك قوله في ءاخر الحديث حتى

يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا والحديث على هذا البيان لا ينافيه شيء مما حدث من احوال المسلمين في التاريخ فقد تسلط العدو على طوائف من المسلمين غير مرة بعضها كان تسلطا معتادا كالحروب الصليبية وبعضها كان فوق المعتاد كتسلط التتار والمغول على المسلمين في المشرق سنين طويلة أهلكت الحرث والنسل الى ان اعتنقوا الاسلام وصاروا اخوة لمن كانوا اعداءهم وكتسلط القرامطة على بلاد العرب وتسلط النصارى على المسلمين في مصر والشام في اواخر القرن السادس واوايل السابع وكتسلط الجلالقة على المسلمين في المغرب ببلاد الاندلس حتى انجلى عنها المسلمون وأصبحت أرض كفر ولكن المسلمين الذين كانوا بها حلوا في ديار أخرى وانضموا الى جامعتهم فلم يكن ذلك استيصالا لهم بل ان يكون استيصالا لسائر الامة وتمزيق جامعتها وسلطانها وقد اقتتلت فرق المسلمين غير مرة قتالا معتادا او اشد من المعتاد وحسبك منه قتال الخوارج الذي دام سنين طويلة ولم يفض الى تفانيهم واستيصال بعضهم بعضا وعلى هذا فقوله في حكاية جواب الله تعلى « حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا » غاية لانتفاء تسليط بعضهم على بعض ليست من جنس تسليط العدو عليهم وشرط المعطوف بحتى ان يكون بعضا من المعطوف عليه فتعين ان يكون في الكلام ايجاز حذف دل على عظم فضل الله تعلى على رسوله اذ استجاب له بأكثر مما نسأله فانه ساله أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم فاستجاب لـه بذلك وبان لا يسلط عليهم من أنفسهم أيضا مسلطا في كون من الاكوان وحال من الاحوال الى الغاية التي يكون بعضهم فيها يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وهذا الاسلوب يشبه أن يكون من تاكيد الشيء بما يشبه ضده اذ يوهم بظاهره ان تلك الغاية نهاية لقوله وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم وهي في الحقيقة ليست غاية لذلك فان ذلك منتَفٍ ابدا الى غير غاية وانما هو غاية لمحذوف وهو ما اشرت اليه انفا .

ويجوز أن يكون المراد من قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا الخ غاية لنفي تسليط العدو من غير تقييد كون العدو من غير أنفسهم اي تسليط بعض المسلمين على بعض تسليطا يستبيح بيضتهم ويفني جماعتهم فيكون ذلك اخبارا عن غاية من الزمان تحصل فيه فتن عظيمة فيرتد فريق من المسلمين عن الاسلام ويكون مساويا للفريق الباقين على الاسلام في العدم او تزول منهم حرمة احكامه فيقتل بعضهم بعضا قتل استيصال حتى لا يبقى من يقول الله الله كما ورد في الحديث لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وذلك بان يسلط بعض المسلمين على بعض ويسلب الغالبين رشدهم فيهلكوا البقية نظير ما سلب الله ( نيرون ) سلطان الرومان من العقل حتى صار يلذ له ازهاق نفوس قومه واحراق عاصمة سلطانه فيكون هؤلاء قد بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار وهي غاية بعيدة المدى . ما بقيت في المسلمين مسكة من هدى . نسال الله ان يعيذ الامة من هذه الحالة ببركة رسولها عليه السلام .

قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

# الفتاوى والاحكام

## حكم وضع الاسنان المصنوعة في الفم

بقلم العلم الهمام شيخ الاسلام الحنفي

### السؤال

ما قولكم في وضع الاسنان المصنوعة في الفم عوض الاسنان الساقطة بالصفة التي شاع استعمالها في هذا العصر هل هو جايز او ممنوع ؟ وهل تطهير السن المجوف من اثر السوس وملؤه بالفضة ثم تغليفه بالذهب حتى لاينقرض كما هو الشايع الآن يمنع صحة الاغتسال بناء على ما ذكر في الكتب الفقهية من ان الاصح عدم صحة الغسل اذا كان السن المجوف ممتلئا بشيء صلب لاينفذ الماء الى تحته ؟

### الجواب

ان وضع الاسنان المذكورة بالصفة الشايعة الآن جائز بلا خلاف لان تلك الاسنان المصنوعة وما هي مشدودة به كلاهما طاهر ان احدهما مما يسمى بالكاوتشو والآخر نوع من الطين كما اخبرنا بذلك بعض أهل هذه الصناعة من المسلمين ولاشك أن وضع الطاهر غير المضر في الفم مباح خصوصا اذا كان لحاجة كالانسان التي بها المضغ الذي هو اول مراتب الهضم فهو حينئذكوضع سن الشاة المذكاة عوض السن الساقطة المنصوص على جوازه في المذهب قال الكرخي اذا سقطت ثنية رجل فان أبي حنيفة يقول لايعيدها ويشدها بذهب او فضة لانها كسن ميتة بل يأخذ سن شاة ذكية يشدها مكانها وخالفه ابو يوسف وقال لاباس باعادتها ولا يشبه سنه سن ميتة وفي التترخانية قال بشر قال ابو يوسف سألت أبو حنيفة عن ذلك في مجلس ءاخر فلم ير باعادتها بأسا اه وذلك يدل على انه لا خلاف بين ابي حنيفة وابي يوسف في جواز وضع سن من الشاة المذكاة عوض السن الساقطة وانما الخلاف بينهما على رواية الكرخي في اعادة السن الساقطة وبذلك يتبين جليا ان وضع الاسنان المصنوعة بالصورة المعروفة الان جائز باتفاق ابي حنيفة وابي يوسف ولم نعثر على النقل عن محمد في سن الشاة المذكاة والظاهر انه لا يخالف الامامين في الجواز لطهارة السن وبذلك يتهيأ لنا القول بان تعويض الاسنان الساقطة بالاسنان

المصنوعة بالصفة المذكورة ممالا خلاف في جوازه بين أيمتنا الثلاثة هذا كله في تعويض الساقط من الاسنان اما شد السن المتحرك بالفضة فجايز بالاتفاق وبالذهب منعه ابو حنيفة وجوزه محمد وابو يوسف قيل مع ابي حنيفة وقيل مع محمد قال في الدر المختار ولا يشد سنه المتحرك بذهب بل بفضة وجوزهما محمد اي جوز الشد بهما اه ولا يخفى ان الخلاف في الذهب انما هو بالنسبة للرجال دون النساء فيجوز لهن الشد بالذهب عند الجميع لجواز التحلي بالذهب لهن فضلا عن الحاجة الداعية لذلك وفي الصحيح ان النبي صلى عليه وسلم خرج وباحدى يديه حرير وبالاخرى ذهب وقال هذان محرمان على ذكور أمتي حلال لاناثهم واما تطهير السن المجوف من اثر السوس وحشوه بالفضة ثم تغليفه بالذهب لئلا ينقرض فان كان ذلك لضرورة دفع الالم الحاصل او المتوقع حصوله بدخول الهواء او الطعام في جوف السن فذلك لايمنع صحة الاغتسال وان لم يصل الماء تحت الحشو والغلاف لضرورة التداوي كشد السن المتحرك لضرورة دفع الالم الحاصل بالتحرك فكما لايمنع الشد لا يمنع السد للضرورة والحرج المرفوع بالنص وفي شرح المنية ما يشعر بذلك كما ياتي وقصاراه ان يتنزل الحشو منزله الجزء الذي ذهب من السن والغلاف منزلة ظاهر السن فيكفي وصول الماء الى ظاهر الغلاف كظاهر المشدودة به السن المتحرك او كأثر الحناء والصبغ وما اشبه ذلك مما هو معلل بالضرورة وان اختلفت جهتها واذا اردت زيادة الايضاح فاستمع لما نقصه عليك قال في الدر المختار ولا يمنع ما على ظفر صباغ ولا طعام بين اسنانه او في سنه المجوف به يفتى وقيل ان صلبا منع وهو الاصح اه وكتب المولى ابن عابدين على قوله به يفتى ما نصه صرح به في الخلاصة وقال لان الماء شيء لطيف يصل تحته غالبا ومفاده عدم الجواز اذا علم انه لم يصل الماء تحته اه وكتب على قوله وهو الاصح ما نصه صرح به في شرح المنية وقال لامتناع الماء مع عدم الضرورة والحرج اه اي لامتناع وصول الماء تحت الطعام الصلب مع عدم الضرورة ابقائه وعدم الحرج في ازالته وفيه اشعار بان ما كان للضرورة والحرج لايمنع صحة الاغتسال كما اشرنا اليه سابقا ثم قال ابن عابدين وهذا التصحيح لاينافي ما قبله فافهم اه يعني لان مفاد كلام الخلاصة على القول الاول عدم الجواز اذا علم ان الماء لم يصل تحت الطعام واذا تصلب الطعام للزوجة بشدة المضغ حتى صار كالعلك لايصل الماء تحته فالقولان حينئذ متحدان ولا اثر للخلاف في المعنى وبما نقلناه وقررناه يتجلى لك ايها السايل ان مسالة الطعام الصلب المذكورة في الكتب الفقهية غير حادثة السؤال لان الطعام لاضرورة لبقائه ولا حرج في زواله بخلاف الشيء الصلب الموضوع للتداوي لمكان الضرورة والحرج كما اسلفناه

محمد بن يوسف

---

# الاخوة في الاسلام

ان الكلام على الاخوة في الاسلام او الاخوة الاسلامية يستدعي القاء نظرة بعيدة على منشيء هاته الاخوة وما لا بسها في عصور الاسلام الاولى وما طرأ عليها في العصور المظلمة الحديثة لنصل الى حقائق ذات شان عظيم في تكوين أمتنا المحمدية وما كانت عليها من القوة والعز وما داخلها من انحلال وتشتت

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصل نسبه الشريف بأخ وعاش مع والدته التي لم تتزوج بعد بعلها عبد الله والد الرسول الاكرم . وبعث صلى الله عليه وسلم بالرسالة الاسلامية ودعا الى توحيد الله سرا وجهرا ولم يشد عضده أخ ولم يؤازره في دعوته أخ واشتغل عنه اقاربه بوظائفهم القرشية خوفا أن ينفض العرب من حولهم ولم يوقنوا برسالته ولا آمنوا بما جاءهم به من توحيد الرب العظيم خالق السماوات باسط الارض مجري الانهار مصور الانسان على أحسن تقويم ممده بروح الحياة كسائر المخلوقات مميزه بجوهرة العقل الذي استكمل به وامتاز عن سائر الحيوان . وما أشد وقع هذا الاعراض على الانفس البشرية سيما اذا كان من العشيرة والآل والحال أن لا أخا يشتكي له من هذا الصنيع الممقوت بيدأنها النفس الطاهرة الزكية المرتاضة بالخلق الملكية المتأنسة بالروح الامين المتحلية بوانك لعلى خلق عظيم - فلم يفتقر صلى الله عليه وسلم الى اخ يشد عضده او يؤنسه في وحدته عند ما كان الدين غريبا وكذلك بدأ هذا الدين غريبا . فشد الله عضده بمن آمن به وصدق رسالته وآنسه باخلاصهم له صلى الله عليه وسلم لا كالاخلاص المتعارف بين الاخوة في الرحم وما ذاك الانور حل في نفوس المهتدين من نور الرسالة المحمدية فآثروه عليه الصلاة والسلام على نفوسهم وآثروا دين الحق على كل ما سواه فصغرت في نفوسهم الاوطان والمال والولدان وهاجروا الى ارض الامان وفارقوا أرض الكفر والضلال .

ولما استقر بهم النوى واستقبل أهل يثرب الرسول وأصحابه استقبال البررة الاوفياء هنالك كانت المظاهر الاسلامية العظمى وتأسست الاخوة الاسلامية ونادى داعي البشارة بالحبور اليكم يامعشر المهاجرين يامن فارقتم الاوطن في سبيل الاسلام . يا من فارقتم ابناءكم وبناتكم في سبيل الاسلام . يا من فارقتم اخوانكم واقاربكم واصحابكم وأهل مودتكم في سبيل الاسلام . يامن تركتم أرزاقكم لعدوكم في سبيل الاسلام . يا من فارقتم جواركم البيت الحرام في سبيل الاسلام . يا من تأهبون للقتال فتفارقون الحياة الدنيا في سبيل الاسلام . ابشروا بأن لكم من ربكم في الآخرة الجنة ولنعم دار المتقين ولكم من مولاكم في هاته الدار اخوة اسلامية لا تعادلها صلة النسب بالابناء ولا بالاباء ففوزوا ببيعكم الذي بايعتم به ربكم .

وقام رسول الله صلى الله عليه ينفذ تعاليم الرحمن فآخا بين المهاجرين والانصار ووصف

القرءان المجيد هذا الخلق في الانصار حيث يقول : ( والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم . يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ) هذه هي الاخوة الاسلامية وذلك منشؤها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما الف بين قلوب أصحابه وأزال الوحشة التي ربما تلابس نفوس بعض المهاجرين بهذا التأخي مع الانصار أهل يثرب الاعلام . رتب على هاته الاخوة الاسلامية ما يترتب على الاخوة النسبية من التوارث فأصبح بنعمة أخوة الاسلام المهاجر يرث الانصاري أخاه في الدين . فقسم صلى الله عليه وسلم من هاجر معه على الانصار وتسابق اهل يثرب لكفالة اخوانهم وانزلوهم المقام اللائق بهم فطاب للمهاجرين المقام ولم يحسوا بالم الفرقة ووحشة الغربة وأمنهم الله في هذا البلد الطيب

ولما اعز الله المسلمين وانتصروا في غزواتهم واجتمع الشمل وزالت عن المهاجرين تلك الوحشة أبطل الله ذلك التوارث الذي هو أثر من آثار الاخوة الاسلامية في مبدئها . ونزل قوله تعالى وهو اصدق القائلين واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) وزواله لزوال موجبه وابقي ماسواه من الآثار وقد ذكره ذلك عليه الصلاة والسلام في قوله ( ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) فمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصفات الثلاثة التي هي التوادد والتعاطف والتراحم بالجسد الذي يشعر كلما اصاب منه عضوا ضرر أحس بالمه الجسد . وسعى في دفعه عنه كلما وجد لذلك سبيلا وكذلك شأن المؤمنين اذا ناب قسما منهم نائبة أحس بألمها باقي المسلمين وسعوا بما ارتكز في نفوسهم من عاطفة الاخوة الاسلامية لدفع الضر عن اخوانهم ونظروا اليهم بعين الرحمة ومدوهم بنفوسهم واموالهم . فيكون ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا )

وشرح عليه الصلاة والسلام الاخوة الاسلامية في قوله : ( المسلم اخ المسلم لايظلمه . ولايسلمه . ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ) فكما ان الاخ شأنه ان لا يظلم أخاه . كذلك الاخوة الاسلامية تمنع المسلم أن يصدر منه ظلم المسلمين في اموالهم ونفوسهم واعراضهم . وبذلك يسود الامن وتنتشر الفضيلة لان الظلم مصدر كل شر . جالب للنقم . قال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة .

والاخ لا يسلم أخاه ويخذله . ويتركه لعدوه ينكل به ويعبث بمصالحه وحقوقه كما شاء واراد . بل يحم اخاه المسلم وينصره ظالما او مظلوما . ينصره ظالما بمنعه من الظلم . وينصره مظلوما بكشف الضر عنه

والاخ شأنه ان يكون في حاجة أخيه يعين اخاه المسلم على ما استصعب عليه ان يناله ويسهل عليه

مرافق الحياة سواء أكانت مالية او اجتماعية او علمية وبذلك ينـال مرضات الله والله لا يضيع عمل عامل. وقد تكفل من له مفاتيح السماوات والارض لمن يسعى في قضاء حاجيات المسلمين أن يكون له في حاجته، والاخ شانه ان يكون باذلا ما في طاقته لكشف الكروب عن اخوانه يفرج عن المسلم ما يصيبه من مسغبة فيعمل في سبيل ذلك ببذل ماله، وحث اخوانه المسلمين على المعونـة، والبحث على اسباب الارتزاق لاخوانه البطالين، ومعالجة المرضى بنفسه ان كان يحسن ذلك، او يجلب لهم من توفرت فيه شروط اللياقة. واعانة المشاريع التي بها تتكون المصالح العامة العائدة بالفائـدة على الفرد والجماعات، والاخ شأنه ان يستر زلات اخيه ولا يعمد الى نشر عورات المسلمين فتنشأ عن هذا الكشف المذموم الضغائن والاحقاد ويصبح الناس كل واحد يبحث عن عورات أخيه ليظهرها للناس كما فعل هو به وفي ذلك من الفساد شيء عظيم ووعد الله ذلك الساتر بالستر عليه يوم القيامة كما وعد من فرج عن أخيه كربة انه يفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة. وكذلك بين الشارع الاخـوة الاسلامية وآثرها وما ترتكز عليه من الصفات

وما فتيء صلى الله عليه وسلم ينمي في نفوس أصحابه معنى الاخوة الاسلامية ويذكرهم في مجالسه ما ارتضى لهم الله في هذا الدين القويم من صفات الانسانية الكاملة، ويحذرهم مما يفكك عرى تلك الاخوة ويصبحها عداوة وبغضاء، قال عليه الصلاة والسلام: (اياكم والظن، فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله اخوانـا كما أمركم، المسلم اخ المسلم لايظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، «ويشير الى صدره» بحسب امريء من الشر ان يحقر اخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) فكل هاته الصفات نفر منها الشارع الحكيم لعلمه أن الاخوة لا تتفق معها ولا تثمر ثمرها المطلوب فحذر المسلم أن يظن بأخيه المسلم السوء وذلك مدعاة الى تكـوين العداوة وما ينجر عنها من الفساد كما حذره من التجسس وأنه خلق لايليق بالمسلم أن يكون عليه سيما اذا كان التجسس لفائدة العدو لما فيه من الوقيعة بالمسلمين والاخ لايسلم أخاه كيفما كانت الحالة ولا يعطيه فريسـة لغيره في مقابلة منفعة يرتجيـها لنفسه ولا ينافسه المنافسة التي تنشأ عنها العداوة والبغضاء وتنقطع بها صلة الاخـوة التي كـونها لهما الاسـلام ولا يحسده على ما انعم الله به عليه قال تعالى (ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله) بل يرتجي ممن انعم عليه أن يمده هو بانعامه ويسعى في سبيل ذلك كما سعى أخوه من قبل ولا يضمر له البغض في نفسه حتى اذا صدرت منه زلة عفا وأصفح عنه ومن عفا وأصفح فاجره على الله ويعمل لازالة الاسباب الداعية لذلك ولا يعرض عنه اذا لاقاه لحقد يجده عليه في نفسه ولا يحتقره بما فضله به الله عليه فان الشر كل الشر في هذا الاحتقار المشين الذي يقسم المسلمين الى فرق لاتهتم كل فرقة بشان اختها وتنظر

كل واحدة منها الى الاخرى بعين ملؤها التنكيل وفي ذلك من الفوضى ما لايخفى فتستباح دماء واعراض واموال حرمها الله وأصى برعايتها بموجب تلك الاخوة

وابلغ ما يرشدنا الى مقاومة داء الاحتقار ما شرعه الله من فريضة الزكاة التي فيها حق للفقير من مال الغني فيعطي الاخ الغني اخاه الفقير المسلم مما اعطاه الله فتنمو مودة الاخوة الاسلامية بينهما كما ينمي الله للمعطي رزقه الذي جعل فيه حقا لاخيه السائل والمحروم وما مشروعية الزكاة الا ظاهرة أخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية وأثر من ءاثارها تؤخذ من اغنياء المسلمين بقدر معلوم في وقت معلوم وتعطى لفقراء المسلمين من غير تعد ولا ظلم وهذا الاثر اعتبره الاسلام وحكمته ظاهرة لكل من ازال الله عن قلبه غشاوة المكابرة، وهداه الحجة البالغة. وهو نظام ضمن السعادة لكافة طبقات الامة كل يستفيد من ثروتها . الغني يستفيد مما انعم الله عليه . والفقير يستفيد من فواضل كسب الغني الذي يزكوا به ماله، زيادة عما ينجر للجميع من المنافع فكم من مصلحة نالها الغني بسبب ذلك الانعام وكم من مهمات يسدبها الفقير لمن إحسن اليه وهو لا يشعر

كذلك كون الرسول الاعظم، والمربي الاقوم، والمرشد الافخم، المسلمين على هاته المبادي السامية، وروض نفوسهم على الاخوة الصادقة، فسهل عليهم اقتحام المشاق وما يعجز عنه الفرد تتحمله طائفة من المسلمين فجهزوا الجيوش ونشروا الاسلام بين الانام، وفتحوا الامصار ودوخوا الجبابرة وملكوا عرش الاكاسرة وبلغوا في نشر تعاليم الاسلام أقصى بلاد الصين شرقا وجبال البريني بل والاطلانطيك غربا واصبح خليفة المسلمين يخاطب السحاب ويقول له سر حيثما شئت فخراجك راجع الينا، وحكموا على الكافة بالشريعة المحمدية التي لا تفرق في أحكامها بين الراعي والرعية والمفضول والفاضل الكل امام العدل سواء، الناس كلهم عباد الرحمن . لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى . وتلك يعلمها الله وجزاؤها يوفي به الله يوم الجزاء الاكبر وما المساواة في الحقوق الا ظاهرة اخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية . (له بقية)

محمد الشاذلي ابن القاضي

# اوصاف العلماء

العلماء ورثة الانبياء، العلماء اعلام الاسلام، العلماء في الارض كالنجوم في السماء، العلماء غرباء لكثرة الجهال، زلة العالم كانكسار سفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . الجاهل صغير وان كان كبيرا والعالم كبيرا وان كان صغيرا . مثل علم لاينفع ككنز لاينفق منه . ازهد الناس في عالم جيرانه، لو سكت من لايعلم لسقط الخلاف، مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات، المتواضع في طلب العلم اكثرهم علما كما ان المكان المتحفظ اكثر البقاع ماء، من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا، ما صين العلم بمثل بذله لاهله

# التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريف

## ٧

ح — وجوب دية القتل على العاقلة ـ استنكر هذا الحكم كثير من المتفرنجين قائلين كيف يغرم من لم يذنب ؟ وجوابه ان هذا الحكم وجده الاسلام عند العرب وأن من قتل قتيلا خطئا ادى الدية عنه قبيلته وتلك اعانة عائلية ليس فيها ما يستنكر بل هي اصل الاكتتابات عند الاروبين وفي الحقيقة ليس هناك ذنب حتى نقول كيف يغرم من لم يذنب وانما هي نفس ضاعت بفعل القاتل خطئا ولم يقصد القتل فرأى العرب ان يحقنوا دماء بعضهم بعضا بهذا التعويض الذي اصطلحوا على تسميته دية وجعلوه على اغنياء القبيلة يتعاونون بجمعه لئلا يكون مثقلا لهذا القاتل وربما كان سبب افلاسه وفقره وربما كان مفلسا قبل القتل فتضيع الدية ويقع العدوان فرأى أن حقن الدماء والهدؤ تتمتع به القبيلة كلها لذلك اوجب الدية عليها وجعل لها نظاما محكما فلا ظلم عليها . وعلى كل حال ان مصلحة هذا الحكم ظاهرة يسلمها العقل ولا سيما ان القاتل نفسه ملزوم بدفع واجب في دية اخرى وجبت على غيره من افراد قبيله فهي كسلف معاونة : وكما هو جار الآن في هدايا الاعراس ونحوها فان القبيلة تقدم هدايا للعروس كاعانة وسلف ثم يردها لكل من جعل عرسا منهم فهل في هذا شيء ينكره العقل والعلم

ط — تضييق الشريعة ابواب المعاملات — هذه الشبهة يوردها بعض المتفرنجين ايضا وقد اجبت عنها في ذيل الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي بان التضييق انما نشأ من بعض الاراء المذهبية واكثرها من المتأخرين واما أصل الشريعة فلا تجد فيها تضييقا ولا حرجا كتابا ولا سنة قال تعالى ( ما جعل عليكم في الدين من حرج ) وانما هو الاغراق في القياس والاستحسان وسد الذرائع ونظر الشرع في المعاملات هو حفظ مصالح المتعاملين والمصالح يختلف كثير منها وتتغير حسب الزمان والمكان والاحوال ولهذا قال الاصوليون ان اصل المنافع بعد ورود الشرع الاباحة واصل المضار التحريم . وبالجملة من شاء التوسع في هذا الباب فليرجع الى كتابنا المشار اليه في مبحث القياس واسرار التشريع وترجمة ابي حنيفة والجزء الرابع منه ولا سيما الذيل من العدد ٣٠٥ / ٣١٧ ولا بد من الرجوع الى المطولات من كتب الفقه والخلافيات

ي — رجم المحصن وقطع يد السارق — ان هذين الحدين طالما تشدق المتفرنجون بانهما

مخالفان للعقل ومثلهما لم يات في شرع لما فيهما من تعذيب انسان تعذيبا فظيعا اكثر من جرمه، وكل تهويلهم مبني على تهاونهم بامر الزنا وميلهم الى الاباحة وتهوينهم للسرقة ولو انهم نظروا بالعين التي ينظر بها الشرع الاسلامي للزنا وفظاعته وافساد النسل بل افساد الامة جمعاء ومايتولد عن ذلك من السفك والفساد ما استعظموا الرجم ولو انهم نظروا في الشروط التي جعلت لهذا الحد لما انتقدوه لانه حد لا يجب الا بعد شهادة اربعة يقولون رأيناه كالمرود في المكحلة لا اختلاف بينهم ولو وقع بينهم اقل اختلاف لسقط حد المتهم ووجب حد القذف على الاربعة الشهداء اما اذا أقر المتهم فهو الذي ورط نفسه ثم له ان يرجع فيسقط الحد كل هذا يبين لنا انه سياسة شرعية مقصود بها حسم مادة الزنا ارهابا والستر على من زل ،

وأزيدكم بيانا ان مبدا الشرع الاسلامي ان الزنى زلة عظيمة وافساد للنسل الذي هو اساس العائلة التي تتكون منها الامة النبيلة ذات الاخلاق الفاضلة لتنشأ امة الفضيلة ذات مروءة وصلة نسب شديد اللحمة وله حرمة في نظر الشعب فالزنى في نظر الشرع افساد المجتمع لذلك تجد احكامه مبنية على شدة التوقي منه لما ينشأ عنه من الجرائم قتل وغيره فلذلك احتاط الشرع منه بايجاب الحد منه وإيجاب الحد على من رمى به غيره دون حجة وأوجب الحجاب صونا للاعراض واباح تعدد الزوجات لان ضررهن أخف من ضررها كما اباح الطلاق أيضا اذ فساد العشرة قد يكون سببا فيه وفيما هو افظع منه فلو ان المنتقدين أمعنوا النظر في حكمة احكام القرءان ما انتقدوا بل لو استقصوا التشريع البشري الذي عليه الامم المتمدنة لوجدوا فيه من النقد ما هو أعظم فلذلك تجدهم كثيرا ما يغيرون أحكامهم . وما من أمة الا ولها شريعة توافق ذوقها وعقليتها وتخالف غيرها وليس من الانصاف أن يعترض على شريعة هذا مبدؤها القويم بمبدإ بني على التهتك واستهوان الفسق والاباحة والتعشق للخلاعة ولا يبالي بضياع النسل وافساد العائلة. وكفى عبرة أنه ما من امة اسلامية الا ونسلها في الازدياد على قلة اعتنائهم بمحاربة الامراض . ومجموع الامم غيرهم لا يلحقهم في ذلك مع إطباق الامم على وصفهم بالحشمة والنزاهة والطهر والعفاف سوى أمم منهم خلعت رسوم الشريعة حديثا فندمت على ما فعلت .

ان الانتقادات على الشرع الاسلامي ناشئة عن الجهل به كما ان قولهم لم يكن حد الزنى في شرع ءاخر جهل بشريعة اليهود .

اما قطع يد السارق فكذالك ايضا له شروط ربما تتعذر فيدرأ الحد بأدنى شبهة. على أن قطعها سببه مهانتها ونذالة السارق وأن تطهير المجتمع من هذه الموبقات ليس بالامر الهين ولا بد فيه من صرامة شرعية وقد رأينا ان المجتمع الاسلامي كان طاهرا زكيا لما كانت الحدود تقام فيه على وجهها وفي الحقيقة لما كان الجناة مهددين باقامتها عليهم فكانوا منزجرين رغما عن صعوبة توفر الشروط

الموجبة لقدرة اقامتها. وحيث وقع التهاون بها وايقنوا بسد الباب دون اقامتها فسد حال المجتمع واستهتر الجناة، كم رأينا عند الاروبيين نظاما محكما وضبطا وزيادة رقابة ومع ذلك تكثر الجرائم والفضيحات المالية البالغة حد الشناعة في نفس رجال الدول المتمدنة ولم يقم ذلك مقام الحدود الاسلامية. ولما رجع الامام ابن السعود في الحجاز الى اقامتها صلحت الاحوال وأمن السواد الاعظم العربي من أهل نجد والحجاز والحجاج شر طائفة النهابين الذين كانت السرقة والنهب مورد قوتهم الوحيد على عهد الدولة قبله التي كانت لا تقيم الحدود ولم يحتج لكثير رقابة وحرس وصار أمن الحجاز مضرب أمثال في اوربا واميركا التي اصبحت مركز اللصوصية في نيويورك وفي واشنطون وغيرهما

وان التظاهر برحمة الجناة غلطة كبرى في التشريع الاروبي عادت برزايا يشكو منها سوادهم ولذا قال الله تعلى في اقامة الحدود ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. ومن العجب اني سمعت محكمة زعموا انها حكمت على رجل مسلم دخل دارا ليلا بنية السرقة بسجن ثلاثين سنة والغالب انه سجن أطول من عمرها فعجبت للمتمدنين يجعلون هذا العقاب الذي هو اعدام بل شر منه على نية السرقة ويستبشعون قطع اليد على فعلها

## التعبدي ومعقول المعنى

يقول الاصوليون والفقهاء ان احكام الشرع منها تعبدي ومنها معقول المعنى وهو الاكثر والثاني ما ظهرت حكمة الامر به كالزكاة لسد خلة الفقراء والنهي عنه كالخمر صونا للمال والعقل والعرض والاول ما خفيت حكمته ككون عدة المطلقة ثلاثة قروء والمتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا ورمي الجمار في الحج وغير ذلك.

والاصح ان هذا موجود بجعل جمهور أهل العلم التعبدي ما خفيت حكمته مع وجودها دون أن يقولوا ما لا حكمة فيه كما يقول داود الظاهري واصحابه ذلك دليل ان جانب العقل مراعى في الاحكام الشرعية اذ الاحكام لها علل وكل علة لها حكمة ظهرت وخفيت كتحريم الخمر لعلة الاسكار وحكمتها حفظ العقل والمال والعرض فتبين ان الاحكام مراعى فيها موافقة المعقول وانها لا تكون ضده بحال لان تلك الاحكام راجعة منفعتها الينا ومصلحتها عائدة علينا والحق سبحانه متعال عن ان يصله نفع او ضرر من أعمالنا كما أنه منزه عن العلة والغرض وانما الاحكام ربطت بأوصاف سميت عللا شرعية لا عقلية موجبة بذاتها وتلك العلل بحثنا فوجدنا لها حكما ومصالح راجعة الينا ظهرت او خفيت وبالجملة فالشريعة معقولة المعنى لا تنافي المعقول أصلا.

الدين الاسلامي جاء لخير الناس ورقيهم الذي هو ابدال حالهم بافضل منها فالدين مكمل ومحسن للمجتمع العام لذلك كان ابديا ولا ينسخ لانه متمش مع المصالح المتجددة حافظ لها لا يكون

ضدها واذا كان كذلك فلا يكون ضد العقل ولا ضد العلم الا خير المجتمع ومصالحه لا يكون مخالفا للمعقول ولا لما تقتضيه معارف البشر الصحيحة القطعية والا كان ضد النفع العام وليس من المعقول ان يرسل الله نبيئا يهدى (١) الناس ويرشدهم لما هو ضد العقل والعالم كله له ناموس خاضع لمقتضى العقل ولا يعتبر ما خرج عن مهيعه بل يسمى غير المتمسك به معتوها .

ثم اني انما خصصت الدين الاسلامي بالموافقة للمعقول مسايرة لنصوصه وللادلة السابقة أما بقية الاديان كالمسيحية فان علماءها نصو على مخالفتها للمعقول وجعلوا الدين فوق العقل كما سبق واظن أن العقلاء من سائر الاديان يصعب عليهم أن يسلموا بان الله يرسل رسولا للبشر الذي ركب فيه العقل والهمه الاهتداء بنوره . بما هو ضد العقل أو العلم وانما هو قلب أو ابدال أو غلط .

الدين الاسلامي منذ نشأ تمشى مع الحضارة والرقي سواء التي هي من نصوص الدين وواجباته وقد سبقت جملة منها أو مما وجده عند الامم قبله ، فقد أخذ من حضارة اليونان وعلومهم والرومان والفرس والمصريين وغيرهم ولم يجمد ولا أنكر علماؤه شيئا من الحضارات النافعة التي تفيده ولا رد الا ما لا ينطبق على أصوله وكل ما رده لا تتوقف عليه حضارتنا ولا حاجة بنا اليه ، وقد جمع الاسلام تلك الحضارات الى حضارته التي جاء بها الاخلاقية الادبية والدينية والاعتقادية والعملية فتكون من الجميع حضارة ارقى الحضارات التي عرفها التاريخ واخذتها عنه الامم الاخرى فلو كان ضد العقل او العلم ما أمكنه ذلك والتاريخ شاهد عدل بما بلغه الاسلام في بغداد ودمشق وقرطبة ومصر والقيروان وفاس وسمرقند والهند وفارس وغيرها من الممالك الواسعة وكلها تمشت مع الحضارة وأخذ كل بلد بقسطه لم تجمد واحدة منها ولا أحجمت عن السير الى الامام الا ألامم التي نزل بها سن الهرم .
فالعقل والعلم رفيقان للدين وهو ماش بينهما مستعينا بهما وهما عضداه ونصيراه والحكمة صاحبة الشريعة واختها الرضيعة تجاذبتا بالطبع حتى اتحدتا بالعقل والسمع .

٤٠ — علماء المسلمين الكبار المشار اليهم بالتدين التام عقدا وعملا والمتفوقون في علومه ورئاسة امامته تجد نخبتهم فلاسفة متبحرين في العلوم العقلية مطبقين لها على نصوص الدين غير رافضين لها الا الجامدون وهم قل من كثر أما غير الجامدين المعادين للعقل وعلومه فانهم مهما زادوا تمكنا واطلاعا على العلوم العقلية الا وزادوا تمكنا في دينهم كالكندي والاشعري وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد ومن لا يحصى كثرة قال بعض المستشرقين: في الاسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرته وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان ولا تجد في الاسلام سدا يمنع الثقافة الغربية عنه بل ترى ان له استعدادا غير محدود لقبول كل ثقافة

٤١ — كان المسلمون عموما موصوفين بالتمسك بالدين المتين وكانوا متمسكين بالعلوم العقلية

يترجمونها عن الغير ويبتكرون ما لم يكن لمن قبلهم وينمون ويمهدون ويهذبون على عهد الدولة العباسية ببغداد والاموية في الاندلس والفاطمية في مصر وحين تأخروا وقع التأخر في الامرين معا فبقينا في خلف مذبذب الدين من حيث العمل بأوامره ونواهيه جاهل بالعلوم زاعم أنه تباعد منها تدينا والحالة أن ذلك عجز وجهل فقط . فهذا مما يدلنا على ان العقل والعلم والدين متعاضدون ففي زمان زهرة العلوم العقلية في بغداد ودمشق ومصر وقرطبة وغيرها وكونها معاقل العلم والعقل كانت معاقل الدين ايضا وكانوا أسمح أهل الاديان مع العلم لان دينهم أسمح الاديان وكانوا حماة العلم والدين معا في ءان واحد من لدن كان العلم جنينا وصبيا مرضعا وهم يحنون عليه حتى شب وترعرع في حضنهم . وكان من اضطهد من أهل العلم لجأ الى الحصن الاسلامي متواريا عن الكنيسة خوف ان يحرق ولولا احتضان الاسلام للعلم لقضت الكنيسة على علوم الاوائل ولما حصل هذا التقدم الموجود الان الى هذه الدرجة المشاهدة التي لولاهم لا تكون الا بعد المئين من السنين

٤٢ — من ادلة بناء الدين على اصول العقل اعتباره للاسرة وبناؤه أصوله وفروعه عليها فالدين يكون عائلة طاهرة زكية فأوجب في النكاح أركانا وشروطا ليكون في نظره صحيحا ليكون عائلة متينة من شهود وصداق ووكيل للزوجة من أقرب الرجال اليها ليختار من يكافئها وقرر النفقات والحقوق المترتبة على ذلك ثم لحوق الولد او انتفاءه بانعدام الاصول التي بنى عليها النكاح . ورتب على اللحوق الارث ثم قسمه قسمة عادلة تناسب الاصول التي بنى عليها التشريع فان الذكر حامل اعباء الدفع بالسلاح وتحمل بالنفقات . ولرغبته في حسن العشرة وعدم التأذي رخص في الطلاق وهكذا لا تجد فروع الدين الا وهي مبنية على مراعاة هذه الاصول مراعاة دقيقة منضبطة منتظمة سالكة سبل الامر المعقول ولذلك حرم الزنى وأوجب الحد عليه وجعل سدا دونه بسدل الحجاب ومنع التبرج والاختلاط بالنساء .

ومن أدلة بنائه على أصول العقل اعتباره للملكية الشخصية فاثبت لكل مالك حقوق ملكيته وأسسها على اعتبارات معقولة معتدلة ولكن جعل هناك شركة للفقراء مع الاغنياء بالزكوات والكفارات وذلك اصل الاشتراكية المعتدلة والديموقراطية الحرة الحقيقية وبالجملة لا تجد اصلا من اصول الشريعة أوفرعا الا وهو ملائم لما تقتضيه غرائز العقول السليمة لا يناقضها بحال وذلك كاف في اثبات ما أصلناه من كون العقل والعلم أصلا من أصول الشرع الاسلامي غير ملغى

## غلط بعض المستشرقين

ان بعض المستشرقين غلط فنسب للدين الاسلامي ما هو براء منه من كونه ضد العلم والعقل ومن هؤلاء صاحب كتاب مصطفى كمال المتقدم صدر هذا التحرير .

اسباب الغلط

أ – الجهل بالدين الاسلامي جهلا فادحا كما وقع لصاحب الكتاب المذكور .

ب – الغرض الذي يعمي ويصم كما وقع لبعض المبشرين بالاناجيل ولصاحب الكتاب المذكور أيضا

ج – القياس على الاديان الاخرى التي هي ضد العقل والعلم

د – الحكم بحال المسلمين المعاصرين على الاسلام الحقيقي وهو من نوع القياس أيضا فتجدهم يقولون ما تأخر المسلمون وهم يناهزون الاربعمائة مليون في اقطار الارض تأخرا بينا وضاع مجدهم وفشلت ريحهم الا بتمسكهم بدينهم ولو لا أن دينهم ينهاهم عن العلوم العقلية ما تركوها حتى كان تركها سبب تاخرهم وهذا من القياس الفاسد المبني على مقدمات عنكبوتية جهلوا الدين وجهلوا حال المسلمين حيث ظنوا أنهم تابعون لاوامر دينهم والحال أنهم عصاة ثائرون على الدين الحقيقي غير تابعين له ولو تبعوه لاخذوا بكل ما يفيدهم في الحياتين معا ويصلح أمرهم ويحمي بيضتهم ويصون مجدهم ولو لم يكن فيه الا ءاية « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض » لكان كافيا في تفنيد المفترين لكن نبذوا أوامره فخسروا وحين يرجعون لاوامره ويعملون بها تقبل ريحهم وتزدهر أيامهم كما كان سلفهم

وليس معنى هذا أن من لم يتمسك بهذا الدين لا يكون له تقدم ولا مجد في الدنيا حتى يعترض علي باوربا واميركا والجابون كلا . فاولئك لهم اصول دنياوية عملوا بها ونبذوا دينهم أو أخذوا ببعضه فتقدموا ونحن لا ننكر المحسوسات والمسلمون لهم دين يامرهم بالتقدم فخالفوه وتأخروا وحين كانوا ممتثلين له كانوا متقدمين . وماضي الاسلام الماجد شاهد عدل لما قلناه . ولسنا نبالغ ونقول انه لا يمكن التقدم لاي دولة الا بالتمسك به . بل مقصودنا ان نثبت ان التمسك بهذا الدين من اسباب التقدم في الدنيا والاخرة معا تقدما أمجد من اي تقدم كان وليس سببا للتاخر أصلا فأهله فرطوا في الامرين معا فضاعوا وخسروا الصفقتين ، نعم الاسلام أخره اهله حتى اصبحت الامم تسيء الظن به وتنسب له التأخر وليس الاسلام بمؤخر لاهله بل لو تمسكوا به لتقدموا كل التقدم وحفظوا مجدهم فالتمسك به لا يكون سببا الا في التقدم والمجد الحقيقي ولا يتصور أن يكون سببا للتاخر بحال فالاسلام ربى المسلمين تربية صحيحة بأخلاق عالية اوصلتهم لاعلى قمة المجد التي لم تصلها أمة قبلهم ولن تصلها واعطاهم حرية تامة في تفكيرهم وأخذ العلوم التي تنفعهم ولم يمنعهم قط من شيء نافع ومفيد ومنعهم مما هو بضد ذلك والمسلمون لما فرطوا في تلك التربية وتلك الاخلاق العالية وتمسكوا بالاوهام والاباطيل وتركوا الحقائق ونبذوا العلوم والعقل وغلب عليهم الخيال والامل بدون عمل وأخلدوا للراحة اضاعوا كل شيء واصبحت الهوة عميقة سحيقة بينهم وبين الحقائق وكل معقول فهم تائهون عن الطريق ويزعمون انهم متمسكون بالدين وان الدين يمنعهم من غير ما هم عليه وهم مفترون على الدين بل الدين والحقائق في واد وهم مع خيالهم في واد « ولو ان اهل الدين صانوه صانهم » وكل من اخذ بالحقائق وصل للجادة وكان أهلا للنجاح ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا

# التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

# كيف انتشر الشرف بافريقية

## ومتى ظهرت خطة نقيب الاشراف بتونس

بقلم العلامة المورخ سيدي محمد بن
الخوجة مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الكلام على انتشار الشرف بافريقية وهي البلاد التونسية يدعو باديء بدء للتعريف كيف ظهر الشرف بين الناس من ذرية الحسن والحسين ابني علي وفاطمة بنت رسول الله صلى عليه وسلم. ذلك ان الخليفة الرابع عليا ابن ابي طالب كرم الله وجهه خرج بعد ان بويع له بالمدينة المنورة الى الكوفة واتخذها دار خلافته وبها استشهد في سنة ٤٠ للهجرة ثم كان ما كان من تنازل ابنه سيدنا الحسن عن الخلافة ورجوعه لسكنى المدينة وظهور نسله هنالك بالحجاز وكان تنازله مثيرا لسخط شيعته لانه قطع به املهم وسود وجوههم على ما حكاه اهل التاريخ واما اخوه سيدنا الحسين فقد خرج ايضا بعد بيعة يزيد الى العراق واستشهد هناك بكربلا وبمشهده عظم الخلاف واشتدت الاحن والبغضاء بين العلويين او الامويين فكان عمال الامويين يتقصون آثار العلويين ويكيدون لهم حذرا من ثائرتهم وكان العلويون لايجد احد عقلة الا انقلب ملتحقا بالبلاد التي بها اشياع ابويهم وكان حينئذ ما يلي العراق بل بلاد العجم فجمع شيعة العلويين لاسباب محلها غير هذا الموضع واهمها اسباب سياسية تنوسي الغرض منها بانقراض الاجيال وابهام المصطلحات والاقوال فهنالك تكاثر ظهور العلويين ونموهم في اوائل القرن الثاني ومن الجهات التي تكاثروا بها سجستان وطبرستان وجرجان والبلخ والري والديلم كما كان بعضهم ياوي الى مصر اذ لايعدم هنالك طائفة من شيعتهم وفي خلال ذلك كثر ما ظهرت منه دعاة للمطالبة بحق الخلافة مطالبة عقيمة الى ان قامت الدولة العباسية فبعثت روحا جديدة في نفوس العلويين لان الدولة العباسية بنيت على الامامة للرضا من آل البيت والعلويين اعرق في النسب فاطلع بعضهم قرنه وكشر عن نابه وشق عصا الطاعة في وجه الدولة العباسية وكانت في بداية امرها مضطرة لمقاومة المنازعين فحدث من سفك دماء العلويين في صدر الدولة العباسية ما حفظه

التاريخ وتلقاء اضطهادهم اخذوا ينزحون للبلاد البعيدة فاما بنو سيدنا الحسين فانكمشوا ببلاد العجم حول شيعة ابيهم وكان العباسيون يغضون عنهم بعض ذلك ويصانعونهم تقربا لشيعتهم واما بنو سيدنا الحسن فلم تكن شيعتهم قوية بين الاعاجم لغضبهم على جدهم سيدنا الحسن من اجل تنازله عن الخلافة فكانوا ينزحون الى المغرب وبذلك تكاثروا به كتكاثر ابناء سيدنا الحسين بالمشرق وكان مقصدهم المغرب الاقصى اذ كان سكانه من محض البربر غالبة عليهم السذاجة وليس فيهم متعصب لدولة فكان من رأي ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط اختيار الاستيطان بينهم في حدود سنة سنة ١٧٢ كما تكاثر فريق منهم بالاندلس شيئا فشيئا مظهرين العداوة لبني العباس فكانت سياسة الامويين اعدائهم الاقدمين قاضية بالتساهل معهم لاساءة سمعة العباسيين كأن لسان حالهم يقول وكل غريب للغريب نسيب — واما البلاد المعبر عنها يومئذ بافريقية فلم يعرف نزول العلويين بها قبل ظهور الدولة العبيدية والسبب واضح وهو ان قاعدتها ومم بلدانها لم تكن تخلو من امراء تابعين لبلاد الخلافة الاموية فالعباسية فلم يكن هنالك مطمع للعلويين في ذينك العصرين بالظهور بافريقية الى قيام دولة العبيديين وكانوا ينتسبون للعلويين فنزل يحيى بن ادريس من ملوك المغرب بعد ان زال ملكه ببلد المهدية مختفيا في سنة ٣١٠ الى ان توفى سنة ٣٣٢ وقدم للقيروان القاسم بن محمد بن الحسن الحجام الفقيه المشهور في سنة ٣٥٠ ولم يعرف غيرهما من العلويين بافريقيا وهل تركا عقبا ام لا ويلوح ان انتشارهم بها كان في خلال الدولة الصنهاجيه وما بعدهم واكثرهم ممن يفد اليها من المغرب الاقصى والاندلس وليس في تاريخ القيروان وتونس ما يدل على وجود عائلات معروفة بالشرف فيما قبل اوائل القرن السابع ومما يذكر على الالسن ولم نقف عليه بالتواريخ مع توفر الدواعي على نقله وجود بيوت تونسية قديمة منتسبة للشرف منها بيت العواني اشراف القيروان سمعت من بعض من اثق بهم ان بيدهم رسما عتيقا في ثبوت شرفهم ممن شهد فيه من علماء القيروان الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله في اواسط القرن الرابع فلعل جدهم وفد لافريقية في زمن العبيديين لانهم من الاشراف الحسينيين والناس مصدقون في انسابهم فحسبنا الاكتفاء بذلك — هذا حديث انتشار الشرف النبوي بطريق البضعة المطهرة في الشرق والغرب باختصار ولو تكلفنا الاطالة باكثر من ذلك لضاق عنه مجال هذه النبذة فلنكتف بما قدمنا . ولننتقل منه للكلام عن نقابة الاشراف وهي من الخطط الاسلامية ذات الشان وصاحبها هو النقيب اي العريف تسند اليه امورهم ويدير مصالحهم وقد بوب لها الامام الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية ونقول لك ان هذا الكتاب الجليل المحتوى على جميع الانظمة الاسلامية التي كانت موجودة في القرن الاول ترجموه لاغلب اللغات الاوروباوية وعلى اعتمادهم في مراجعة احوال الاسلام فقد قال حاصله في الموضوع الذي نحن بصدده وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوي الانساب الشريفة عن ولاية من لايكافئهم في النسب حتى يكون الوالي عليهم احق وامره بينهم امضى وولاية

هذه النقابة تكون اما من جهة الخليفة او ممن فوض اليه الخليفة كالامير واما من نقيب عام الولاية يستخلف نقيبا خاصا وقسمها باعتبار متعلقها الى قسمين معممة ومخصصة فالمعممة وهي القليلة الوقوع في تاريخ الاسلام يسند الى صاحبها النظر في جميع شؤون اهل النسب حتى الخصومات واقامة الحدود وولاية امور الايتام فيكون لهم كالقاضي لبقية الناس (١) واما المخصصة وهي الاكثر استعمالا فهي ان لا يجعل له من النظر اكثر من سبعة امور : اولا — حفظ انسابهم من دخول من ليس منهم او خروج من هو منهم — ثانيا — ضبط مواليدهم ووفايتهم — ثالثا — تاديبهم بما يحملهم على الاستقامة المناسبة لشرف انسابهم لئلا يستخف الناس بهم — رابعا — نهيهم عن خبيث المكاسب — خامسا — منعهم من التسلط على العامة لان ذلك يدعو الى نزع محبتهم من قلوب الناس — سادسا — اعانتهم على استيفاء حقوقهم — سابعا — حفظ اعراضهم والنظر في كفاءة ازواج نسائهم اه قلت ان هذه الامور كلها او جلها طوى الزمان حديثها بالدول الاسلامية لعهدنا الحاضر اللهم الا الفقرة السابعة منها فانها مازالت ملحوظة نوعا ما لدى بعض بيوت الاشراف لاسيما بالمغرب الاقصى واقل منه بالقاهرة وبتونس ففي اوائل هذا القرن قامت ضجة صحافية مصرية ملات الفضاء بلغ صداها لهذه الديار التونسية اثر بناء احد رجال السياسة وهو المرحوم الشيخ علي يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد على احدى كرائم لبيت السادات المشهورين بصحة النسب الشريف واما بتونس فقد اتفق لنحو مائة سنة فارطة زواج احد الوزراء من الموالي بسيدة من ءال البيت الاطهار وانكر الناس ذلك وربما كان وقوعه على كره من وليها والله متولي السرائر — هذا ويشترط في صاحب النقابة العامة ما يشترط في القاضي ويشترط في صاحب النقابة المخصصه ان يكون من اهل ذلك النسب وان يكون اكثرهم فضلا واجزلهم رايا حاويا لجميع المئاثر والفضائل جامعا لاسباب الشرف سليما من النقائص نجيبا يقظا عالما نبيلا فهيما نقي العرض حافظا للمروءة عارفا بالانساب مميزا لاخلاطها وبما يجب لاهل البيت وهذه الشروط تتضمنها غالبا تقاليد ولايتهم ومن اراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتاب روض البلاغة وكتاب صبح الاعشى ومما لا خلاف فيه ان خطة النقابة لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الاولى وانما كان حدوثها اواسط المائة الرابعة في الدولة العباسية للمحافظة على شعائر اهل النسب الزكي كما اشار له في كتاب الاحكام السلطانية ولكن المقصد الخفي الذي دعا الوضع هاته الخطة هو ارضاء العلويين الذين كانوا يجدون في انفسهم هزازة من استيثار العباسيين بامر الخلافة فلما ضعفت الدولة العباسية وتظاهر الامراء المتوثبون على الخلافة في الجهات مثل بني بويه وبني سامان بالتشيع للعلويين ارضاء لهم وتسكينا لثائر خواطرهم اذ قد تكاثر الخارجون منهم عن الخلافة في حدود سنة ٣٥٠ ليكون هذا النقيب يدا للدولة وعونا

(١) ان هذه النقابة المعممة اقتبسوا منها نظام ءال البيت الحسيني بجعلهم جميعا لنظر اكبرهم سنا وهو متولي كرسي الملك وهذه القاعدة هي التي انبنى عليها الفصل الثاني وما بعده من قانون عهد الامان

لها (١) على اضدادها السياسيين كما وقع فعلا في ايام المطيع العباسي المؤيد من الشريف ابي احمد الموسوي نقيب العلويين في سنة ٣٥٩ وتعاظم امر النقابة وتطاولت نحوها الاعناق بدخول السياسة فيها فكثر خطابها من بني هاشم وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم ومن عقبه بنو العباس فراوا من المصلحة تجزئة خطة النقابة الى خطتين خطة نقيب النقباء ولنظره احوال بني هاشم المعبر عنهم حينئذاك بالاسرة الشريفة وبالاشراف اذ كان الاصطلاح في القديم شمول لفظ الشرف لكل بني هاشم وهو مسمى الآل عند جمهور الفقهاء ثم وقع الاصطلاح في مصر على تخصيص الشرف بآل سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه من سيدتنا فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه استمر اصطلاح المتأخرين وكانت نقابة النقباء في بيت الشريف الزينبي والخطة الثانية خطة نقيب العلويين ويسمى نقيب الطالبيين وجعلوا لنقيب النقباء النظر العام في تولية نقباء البلدان مثل نقيب البصرة ونقيب الكوفة ومقر نقيب النقباء ببغداد ويختص بالخلعة السلطانية من لدن الخليفة العباسي مع اعطائه لقبا تشريفيا ولنقيب العلويين ببغداد ما لنقيب النقباء لانه يأخذ التقليد من يد السلطان ايضا هذا تاريخ نشأة نقابة الاشراف في الدولة العباسية ومنها انتشرت في الآفاق حتى دخلت الهند والبلاد القصية – واما ظهور هذه الخطة بافريقية يعني تونس فلم نتوصل مع تشديد البحث عنها بمظانه للوقوف على اخبار كثيرة في شانها وغاية ما وقفت عليه من امر الاشراف في الدولة الحفصية انهم كانوا يكرمونهم ويغدقون عليهم بالاحسان ولا سيما في عهد السلطان ابي عمرو عثمان في المائة التاسعة قال في المونس انه كان يكرم اهل البيت النبوي ويحسن اليهم وقال في الفصل الثالث فيما تميزت به الديار التونسية عند كلامه على الاحتفال بالمولد الشريف ان لنقيب الاشراف عادة ياخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن بني ابي حفص ودامت هذه الدولة ( المرادية ) عليها اه يستفاد من هذه العبارة ان خطة نقيب الاشراف كانت موجودة في الدولة الحفصية ولكن سمعتها ورسوخها انما كان في عصر الدولة العثمانية بتونس ابتداء من اواخر المائة العاشرة ناهيك انهم جعلوا لنقيب الاشراف مزية الجلوس مع شيوخ المجلس الشرعي بمجلس الباشا عند حضورهم لفصل النوازل بدار الباشا تبركا بالنسب الشريف هكذا ذكر في المونس قلت وربما كان حضور نقيب الاشراف في زمرة الفقهاء لمقصد آخر ايضا وهو الاحتياط لما عسى ان تتعلق باحدهم نازلة يصدر فيها الحكم عليه لما تقدم من المعنى الذي لاحظه

---

(١) كان اهم المقاصد من تقديم الشريف الزواوي الشيخ العربي البشيري لنقابة الاشراف بتونس في سنة ١٢٨٤ هو الاستعانة بجاهه وبنفوذه في قومه الذين منهم فريق عساكر زواوه للانتفاع بهم في تمهيد السبل وتوطيد الراحة واستخلاص المجابي وكانت خزينة الدولة يومئذ افرغ من فؤاد ام موسى فكان زعيمهم وسيدهم النقيب المشار اليه يرغبهم على الرضا بالاجر القليل في مقابل العمل الجزيل قالوا ان الخزندار كان يعطيهم في تلك الاثناء مرتب نصف شهر بعد مضي خمسة اشهر في الجهود الشاقة ومنه تفهم صحة قولهم ان التاريخ يعيد نفسه الى ما شاء الله

العباسيون في جملة وظائف النقابة العامة وأول من عثر على اسمه مذكورا من نقباء الاشراف في بعض الرسوم هو الشريف الشيخ حسن الهندي في سنة ١٠٢٣ وهو الجد الجامع لآل بيتي الشريف ومحسن الموجودين لهذا الزمان بتونس بارك الله فيهم وفي عقبهم الى قيام الساعة. وممن وقع الوقوف على ذكره ممن تولى النقابة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الشريف الشيخ الحاج ابو القاسم بن محمد القرشي كان نقيبا للاشراف في سنة ١٠٢٧ ثم الشريف الشيخ محمد بن المختار في سنة ١١٠٠ ثم الشريف الشيخ ابو الفضل قاسم في سنة ١١٣٦ واما في القرن الثالث عشر فقد سهل الله جمع اسمائهم بطريقة مطردة من سنة ١٢٠٦ الى هذا اليوم كما تراه من حلقات هذه السلسلة الذهبية

| | |
|---|---|
| الشيخ عبد الكبير الشريف | توفي سنة ١٢٠٦ |
| الشيخ محمد بيرم الثاني | توفي سنة ١٢٤٧ |
| الشيخ محمد بيرم الثالث | توفي سنة ١٢٥٩ |
| الشيخ محمد بيرم الرابع | توفي سنة ١٢٧٨ |
| الشيخ الطاهر بن عاشور الاول | توفي سنة ١٢٨٤ |
| الشيخ العربي البشيري | توفي سنة ١٣٠٤ |
| الشيخ محمد الشريف | توفي سنة ١٣٠٧ |
| الشيخ احمد الشريف | توفي سنة ١٣٣٧ |
| الشيخ محمد حمده الشريف | بارك الله في انفاسه |

وكان لسادسهم في تلك السلسلة حظوة بين اهل الدولة مع عزة وسطوة في قومه اذ كان هو المهيمن على جميع من ضمه التراب التونسي من ابناء بلاد القبائل الكثيرين الوافدين من جبال الاوراس للانخراط في صفوف عسكر زواوة المشهورين بالشجاعة والباس مع القناعة والاكتفاء بشظف العيش سمعت ممن اثق بنقله من شيوخ الجيل الماضي ان هذا النقيب الجليل يعني الشيخ العربي البشيري كان عند خروج ركابه للتنقل من حبل المنار لتونس يخفره طائفة من زواوة ركبانا شاهري السلاح يسيرون مع عربته ذات اليمين وذات الشمال وكان اهل الدولة يغضون الطرف عنه مراعاة لخاطره لان عساكر زواوة الضاربين باطراف العمالة كانوا كلهم يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده فكانت الدولة ممنونة له من أجل حمل اولئك العساكر على طاعتها والانقياد لما تامرهم به من الاعمال بجهات المملكة مع الرضى بالنزر اليسير من الارزاق التي تكاد ان لاتكون كافية للقوت كما يشهد بذلك المثل الدارج بين اهل تونس من قولهم «كمثل عساكر زواوة مقدمين في الشقاء موخرين في الراتب» وهذا النقيب هو أول من أجرت له الدولة جراية سنوية زيادة على مخصصات نقابة الاشراف المستمدة من جهات البر ومما خولهم الشرع أخذه من أهل الذمة مما لم تزل منه بقية جارية لهذا الزمان وقد وقع

تقدير تلك الجراية عند تاسيسها بثمانية آلاف ريال قياسا على الجراية الممنوحة لشيخي الاسلام بصفتهما ناظرين للعلوم بجامع الزيتونة ولما جلب ماء زغوان لتونس في اوائل دولة المشير محمد الصادق باي وقع تزويد دار النقيب المشار اليه مجانا بينبوع من ذلك الماء الزلال وفي عهد وزارة خير الدين خصصت الدولة جراية قدرها ١٢٠٠ ريال في العام لكل واحد من بنيه الاربعة قياسا على ما جرى به العمل نحو غيرهم من ابناء الاشراف ولما التحق بالدار الآخرة في سنة ١٣٠٤ وقع التردد عند اسناد خطة النقابة بين تقديم الشيخ الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى المالكية كان وبين تقديم المفتي الشيخ محمد الشريف واختير تسليم ازمتها بيد ثانيهما لما كان له من الحظوة والاعتبار بالبلاط الصادقي ثم البلاط العلوي وبقي بمحفوظي ان الشيخ الوالد رحمه الله أخذني معه لزيارة هذا الشيخ بداره بجبل المنار ولتهنئته بالنقابة المباركة ولما جلسنا حذوه فتح فنيقا (١) كان بين يديه وأخرج منه حكة من الذهب المرصع ثم اخرى ثم اخرى الى نحو عشرة مطرز بعضها بصورة المشير محمد الصادق باي وبعضها مكتوب عليه بالحجارة الكريمة اسم المولى علي باي كانت كلها مملوءة بدخان النشوق ليتناول منها الشيخ الوالد وفيما بين ذلك دخل عليه المرحوم السيد الصادق غيلب مبعوثا من طرف أمير العصر يحمل هدية سنية على وجه الملاطفة والمكارمة فقال له الشيخ « يا صادق قل لسيدنا ان العشرة ءالاف التي اعطانيها لبناء دار الشط قد نفدت فليزدني عشرة أخرى » فقال له يا سيدي ان العطية الاولى ما زالت قريبة عهد فكيف نجسر على طلب عطية ثانية بمقدارها فراجعه الشيخ قائلا انا لم اطلب رأيك وانما طلبت منك تبليغ رسالة فلتقم باتمامها والمعطي هو الله » وكان ذلك ءاخر العهد به غير اني سمعت بعد ذلك ممن اثق بروايته ان سمو الباي بعث للشيخ بالمال المطلوب ثم زاده ما يلزمه لتاثيث الدار المتحدث عنها مما يدل على ما لآل البيت من الود الراسخ في قلوب الملوك الحسينيين أيد الله دولتهم - وهذا السيد الشريف تقدم للخطة الشرعية قبل ولايته خطة النقابة وكتب على ختمه بيتين من نظمه وهما قوله :

ادعوك ربي باسمك اللطيف ومن اتى بالشرع والتكليف
امنن برشد عبدك الضعيف محمد بن احمد الشريف

ولما تقدم للنقابة (٢) اصدر له سمو الباي ظهيرا كريما هذه عبارته «الى من يقف على امرنا هذا

---

(١) شبه في القاموس بالغرارة وهذه هي الجولق المعروف

(٢) المدن التونسية التي بها نقابات للاشراف في هذا الزمان هي : تونس والقيروان وسوسة وصفاقس ونابل وتوزر وهذه النقابة الاخيرة في الذكر احدثت في سنة ١٣٤٨ مراعاة لاشراف الشابية واما نقابة نابل فهم اشراف دخلة المعاويين يقال ان جدهم الشريف الشيخ ابو محمد حسن العسكري قدم من مكة المشرفة في حدود سنة ٤٣٠ ونزلوا بالدخلة فنسبت بالتالي لاحد اسلافهم الاولين وهو الشيخ معاوية الشارف رضي الله عنه .

# تونس في القرن السابع

## كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري فى رحلته

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

– ٣ –

( بيوتات العلم بتونس )

ذكر منها بيت التجاني وناهيك به حيث يقول في ترجمة احد نجومه ما نصه ولقيت بها الشيخ الاديب الحسيب الكاتب البليغ ذا الفضائل المذكورة والمآثر المأثورة شيخ الادباء واوحد البلغاء وزين الناظمين والشعراء ابا الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي له بيت عريق في العلم والادب قال لي بمسجد اقرائه انا الثاني عشر مدرسا من آبائي على نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء وبيتهم بالعلم شريف شهير وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر واما ابو الحسن فهو فيه آية الزمان اجادة معنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة وكثيرا ما يمليه ارتجالا فيجود ويتقن وله مشاركة حسنة في العلم ورواية عن الشيوخ ورحلة الى المشرق وحج فيها وهو بالجملة من خواص اهل العلم واحادهم جالسته كثيرا وسمعت كلامه في الادب وغيره . . . ( قلت ) اتماما للفائدة انقل ما ذكره العلامة الوالد تغمده الله برحمته في شان بيت التجاني الرفيع العماد في المجد والسؤدد من كتابه عنوان الاريب ونصه وكان بيتهم ( اي التجانيين ) بحاضرة تونس مطلعا لبدور العلماء والكتاب والشعراء تناوبوا

---

من أهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية ونوابنا في القضايا الدينية وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالويه وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات سدد الله تعلى اعمالهم وأصلح بمنه احوالهم . اما بعد فان الهمام النحرير صفوة الخيرة محبنا الشيخ سي محمد الشريف المفتي المالكي والامام الاكبر بالجامع الاعظم عمره الله تعلى جعلناه نقيب السادة الاشراف بحاضرتنا المحروسة فليقم بخطته عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من ءاثارها وأوصينا له بمزيد المبرة والاجلال والامر لله الكبير المتعال والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٤

هذا وقد رأيت من تمام الفائدة ان نختم هذه النبذة المباركة بسلسلة نسبه الشريف تيمنا بذكر جده صلى الله عليه وسلم : هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الكبير بن احمد بن محمد بن احمد الشريف المشهور بامام مسجد دار الباشا ابن حسن بن علي بن حسن بن احمد بن القاسم بن محمد بن قريش بن عيسى بن عبد الرحمن بن خلف بن علي بن فرج بن علي بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حبذا عقد سؤدد وفخار ... انت فيه اليتيمة العصماء

محمد بن الخوجه

خطط الدولة الحفصية وتقدموا في كتابتها ودسوت رئاستها باستحقاق واضطلاع في العلم والادب وكان الادب والشعر مستفيضا في كبيرهم وصغيرهم وذكورهم واناثهم . فلقد نقل التاريخ ان صبيين من بيتهم خرجا يتفسحان فجلسا يستريحان عند حنايا ماء زغوان فقال احدهما وقد رأى انهدام بعض الحنايا لكرور الايام وتعاقب الاعوام وقيام بعضها على أصوله :

– تمتع من بقايا الحنايا فقال الآخر – بابدع منظر تصبو اليه –

فقال الاول – تأمل صنع ارسمها البواقي – فقال الآخر – وقد مد الفناء لها يديه –

فقال الاول – كسطر بعض احرفه تمحى – فقال الآخر – وبعض لاح مضروبا عليه –

( حرص شيوخ علماء تونس على بث العلم )

حكى صاحب الرحلة عن علماء تونس في ذلك التاريخ من الحرص على بث العلم حتى من بلغ من الكبر عتيا ما يقضى منه العجب . فمن ذلك ما حكاه عن قاضي الجماعة ابن الغماز ونصه . فممن واظته مدة الاقامة ولزمته لزوم الطوق للحمامة الشيخ الفقيه الفاضل والحبر النزيه الكامل قاضي القضاة وزين الحملة والرواة ذو التواضع والانصاف والمعروف بوطاءة الاكناف مسند عصره والمرجوع اليه في مصره ابو العباس احمد بن محمد بن حسن بن محمد بن الغماز الخزرجي وصل الله صيانته وأدام على الخيرات اعانته فلقيت منه عالما يأخذ بالاسماع والابصار وفاضلا خلت عن مثله القرى والامصار . . . الى ان يقول يدأب على الاسماع دؤوب من عد العلم أرفع صناعة ورأى الاشتغال به انفع بضاعة لايشغله عنه الابقاء على اعضائه الواهية ولا يصده عنه ما تتحمله من المشقة نفسه السامية ولم يؤثر في قوة اجتهاده ضعف قواه ولا هوى به الى استيطاء الراحة هواه بل يستعذب في خدمة العلم ما يلاقي ويعده عدة ليوم التلاقي . . . وشبيه بذلك ما حكاه عن الشيخ اللبيدي ونصه : ولقيت بها ( اي بتونس ) الشيخ الجليل الفاضل العالم العامل المسن المسند بقية السلف وقدوة الخلف ذا الدين المتين والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء وعالم الصلحاء ابا القاسم بن احمد بن ابي بكر اللبيدي نفع الله به وهو أوحد وقته علما ودينا واجتهادا ومواظبة وحسن ظن وغزارة دموع معدوم النظير في عصره لايفتر عن العبادة ولا يتوانى عن شهود الصلاة في الجماعة وحضور مجلس لاسماع العلم مع فادح ضعفه وفرط شاخته وضرارة بصره لايتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا ولا يقطع اسماع العلم وتعليمه وقراءة القرآن وقد ابلت التسعون بدنه ونهكت قواه وحفظ عليه ذهنه حفظا تاما واما أخلاقه وتواضعه وقوة رجائه فغاية في بابه . . .

شبان علماء تونس وحرصهم على الاستكمال :

لا ريب ان تسنم أعلى ذروة في العلم يتوقف على ما يبذله المرء في ريعان شبابه من الجهود المتوالية في سبيل ذلك مع فرط الاعتناء وشدة المثابرة وهي الحالة التي كان عليها شبان العلماء بتونس في عصر

صاحب الرحلة واليك نموذجا من ذلك : حكى العبدري عن بعض من لقيهم من العلماء بتونس ما نصه : وممن لقيت بها فسرني لقاؤه ، وواليته في ذات الله فنفعني ولاؤه ، وحاضرني فاعجبني ذهنه وذكاؤه ، وصحبته فبهرني حياؤه وفضله وكرمه وسخاؤه وتواضعه ورجاؤه صاحبنا في الله وولينـا وصديقنا في طاعته وصفينا ابو العباس احمد بن عمر بن ميمون الاشعري المانعي يعرف بابن السكان رأيته مجريا الى غاية من كمل ، ومبرزا في حلبة العلم والعمل، عذبت اخلاقه وفاقت زلالا، واستقامت احواله كالبان اعتدالا، وفاضت انامله كالمزن انهمالا، ادرك مزايا الشيوخ على فتاء سنه، فما تكلم في علم الا قلت هذا معظم فنه ، قد الف الانقباض فما يبسط الا يده ، وسحب قصر الامل فما يؤمل غده ،

فقـل من الآمال اذ لا يضمـها ولكنـه من كل مأثـرة مثـري
سري غـني النفس ما تستفـزه زخاريـف دنياه بقل ولا كـثر

وله اعتناء بتصحيح الرواية، واعباء في تنقيح الدراية، سمع من الشيوخ واستجازهم واستجيزوا له فاتسعت لذلك روايته وله مجموعات تشوق، ومؤلفات تعجب وتروق، منها كتاب في اكمال التذييل لابي بكر بن فتوح على كتاب الاستيعاب للحافظ ابي عمرو بن عبد البر قد اعتنى به اعتناء تاما وهو الى الان لم يكمل

## عدول تونس

لا ريب ان منصب العدالة من المناصب الرفيعة التي كان لها شأن عظيم بتونس حتى أنه في القديم كان القضاة ينتخبون من العدول . ولهذا يروى ان الامير الخطير حمودة باشـا الحسيني تغمده الله برحمته كان يقول ما معناه ان موت القاضي لا يهتم له كثيرا اذ انه يعمد لاي عدل من العدول فيوليه منصب القضاء ويكون كفؤا له انما الذي يهمه كثيرا هو موت عدل من العدول اذ يستدعي تعويضه بعدل آخر غاية التحري في اختيار الكفوء الذي يخلفه في منصب العدالة الجليل وهكذا كان من القديم عدول تونس من أهل الفضل والكفاءة العلمية وهذا العبدري يذكر ان ممن لقيهم من علماء تونس الفقيه الافضل أبا عبد الله محمد بن ابي القاسم الازدي ويعرف بالقمي - بضم القاف - قال وهو رجل فاضل وقور ذو سمت ومن عدول البلد رحل الى المشرق فلقي الناس وأخذ عنهم قرات عليه جزءا في فضيلة من اسمه محمد واحمد تخريج الشيخ الحافظ ابي عبد الله الحسين احمد بن عبد الله بن بكير البخاري اي وبهذا يعلم منزلة عدول ذلك العصر بتونس في العلم والفضل .

## ( مؤدبو تونس )

المؤدب كما يؤذن به اسمه يقوم بوظيفة جليلة وهي تأديب الصبيان وتهذيب اخلاقهم وطبعهـم بطابع الخير ان كان من اهله مع تعليمهم كتاب الله العزيز ومبادي العلـوم الشرعية من توحيد وفقه

وذلك يستدعي الاتسام بميسم العلم والفضل وهو ما كان عليه مؤدبو السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا يقومون بذلك احتسابا لله تعالى ولهذا انتقد ابن خلدون في مقدمة تاريخه زعم من يقول ان الحجاج بن يوسف كان ابوه مؤدب صبيان بالمعنى المتعارف وهو الذي يتقاضى جعلا على تعليمه القرآن بان السلف لم يكونوا يتخذون تعليم القرآن حرفة يتكسبون بها بل كانوا يفعلون ذلك احتسابا . والظاهر ان عرف تونس في القديم جرى على ما كان عليه السلف في ذلك فهذا سيدي محرز بن خلف كان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعالى ويعلمهم القرآن ومبادي الفقه والتوحيد وقد سأل ابن خالته سيدي عبد الله بن ابي زيد القيرواني ان يؤلف له كتابا يشتمل على العقائد والفقه لتعليمه للصبيان الذين كان يعلمهم فألف له الرسالة وفي خطبتها اشارة الى ذلك وهذا العبدري يحدثنا ان ممن اجتمع بهم في تونس الشيخ الفقيه الصالح الفاضل ابا العباس احمد ابن موسى بن عيسى بن ابي الفتح البطرني ( نسبة الى بطرنة بفتح الطاء واسكان الراء ) وهو مؤدب في بعض ارباض تونس ضرير البصر دين صالح معتن بالعلم وروايته مواظب على افعال الخير لقي جماعة من العلماء وسمع من ابي عمر ابن الشقر وقرأ عليه كثيرا وروى عنه وأجازه قال وقد قرأت عليه الاربعين المسلسلات لابي الحسن بن ابي الفضل المقدسي ... ثم يقول وكانت له مسموعات ومرويات لم يتسع الوقت لاخذها عنه والحمد لله على كل حال اه فلله مؤدبو تونس بذلك العصر الزاهر

## ( تجار تونس )

لا ريب ان انتشار انوار العرفان في الامة حتى ينال حظه منها التاجر والصانع وغيرهما من اللفيف فهو عنوان تقدم الامة ورقيها وتجار تونس في عصر صاحب الرحلة قد اخذوا حظا من العلم غير منزور فقد روي أن ممن لقيهم بتونس الشيخ الفقيه الحاج المبارك الافضل معين الدين ابا محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان قال وكان من التجار رحل الى المشرق قديما فلقي به الامام علم الدين السخاوي، وسمع منه وأجازه وقرأ عليه قصيدتي الشيخ الامام ابي القاسم الشاطبي في القراآت وفي المرسوم وحدثه بهما عنه قال وقد قرأت عليه بعض الاولى وجميع الثانية وحدثني بهما معا عن السخاوي عن ناظمهما المذكور وأجازني أجازة عامة وكتب لي بذلك خط يده وقرأت عليه ارجوزة السخاوي في المتشابه من الفاظ القرآن وحدثني بها عنه قراءة ثم ساق بعضها ثم قال وقرات على الشيخ ابي محمد احاديث من احاديث المعمرين ...

فلله در اهل ذلك العصر ما أفضلهم وأجلهم هؤلاء تجارهم فكيف بغيرهم من خاصة اهل العلم المتصدرين للتدريس والفتوى والقضاء . رحم الله ذلك السلف ووفق لاقتفاء خطاهم والنسج على منوالهم اعقابهم حتى يكونوا لهم نعم الخلف

علي النيفر

صفحة ثانية

# باب البحر

بقلم العلامـة المؤرخ سيدي محمد بن
الخوجة مستشار الحكومـة التونسية

بمناسبة شروع المجلس البلدي بتونس في هدم الابنية الملاصقة لهيكل باب البحر بقصد تـوفير الاسباب العائدة بتسهيل مرور المجتازين طردا وعكسا بهـذا الباب من ثلاثـة مسالـك عوض مسلك واحد رأيت الناس بين متحدث ومتخرص بماضي هذا المعلم الباقي من عهد السلف لذلك ءاثرت في هذه الآونة ان يكون بحثي التاريخي هذا الشهر في موضوع باب البحر والحارة الافرنجية الواقعـة حوله وماكانا عليه في العصور المتقدمة على الازمان الحالية لاسيما وانه مبحث لم يطرقه كتاب التاريخ الحاضر فيما نعلم ولذلك نقول

يستفاد من بعض الكتب المخطوطة المحفوظة بخزائن جامع الزيتونة منها كتاب في مناقب بعض الاولياء والصالحين المشهورين بتونس ان باب البحر كان معروفا بهذا الاسم في المائة السادسة نقل الشيخ أبو الحسن علي الهواري مؤلف الكتاب المذكور في جملـة ما ذكره من المناقب لمعاصره الشيخ سيدي ابي سعيد الباجي كرامة للشيخ رضي الله عنه تضمنت حديث طائفة من النساء اجلاهن العدو من جزيرة ميورقة فهاجرن لتونس في زمن سيدي ابي سعيد وكان عددهن يربوعن المائتين « فنزلن ببعض فنادق الروم بباب البحر » ونستخلص من هذه العبارة ان باب البحر في المائة السادسة وما قبلها كان به مساكن النصارى نزلاء تونس كما هو حالـه في هذا الزمان ويلوح ان وجود بـاب البحر كان متقدما على ذلك الزمان لان الولي سيدي ابي سعيد الباجي من رجال المائة السادسة ولد في سنة ٥٥١ وتوفي اوائل المائة السابعة في سنة ٦٢٨ ودفن فيما ذكر صاحب كتاب المناقب بمنارة قرطجنة (كذا) وعبارة المؤرخ الزركشي في التعريف بموضع قبره اوضح من عبارة صاحب المناقب فقد قال انه دفن « بجبل المرسى بمقربة من المنار » والمنار هو الناظور المعروف المقام بقمة الجبل لهداية السفن

وفي الناظـور اشعـار بجـود ... لانـ بـه مقـام ابي سعيـد

ويستفاد مما تقدم ان ناظور(١) سيدي ابي سعيد ليس في اصله من المستجدات الحادثة بل هو

(١) الناظور الموجود لهذا الزمان وقع بناءه في حـدود سنة ١٢٥٥ على عهد المشير احمد بـاي بمطلب من قناصل الدول بتونس وجعلت له مشكاة تبين بالتالي ضعف نور زجاجها فعوضوها بزجاجة اقوى من السالفة اشتروها من باريس بخمس عشرة الف فرنكا في سنة ١٢٨٩ على عهد المشير محمد الصادق باي وكان مدير الناظور هو المرحوم البنباشي الحطاب الزلفاني من ضباط الجيش بالمحمدية

كان موجودا في اوائل الدولة الحفصية ولا نشك في كونه كان معروفا في العصور المتقدمة على المائة السادسة للهجرة يعني في زمن امراء صنهاجة ومن تقدمهم من بني الاغلب امراء القيروان لان تونس كان لها يومئذ اسطول يمخر خضم البحر فيما بينها وبين جزيرة صقلية التي افتتحها الاغالبة في اوائل المائة الثالثة على يد قاضي القيروان وامير جيوشها اسد بن الفرات ومات اسد اثناء حصار سرقوسة سنة ٢١٣ ودفن هنالك فمن الضروري انه كان لديهم بجبل المنار وهو الاسم التاريخي لهذا الجبل قبل نسبته لسيدي ابي سعيد منارة لهداية سفنهم ومتاجرهم عند غدوها ورواحها في ظلام الليل الحالك ومن المحتمل القريب ان العرب انتفعوا بالمنارة المتحدث عنها اقتداء بمن سبقهم من الامم التي حكمت تونس قبلهم لان جبل المنار كان قبل الفتح الاسلامي موقعا لمقابر اهل قرطجنة في سطوتها وعنفوان شبابها وقرطجنة كانت يومئذ ذات قوة بحرية مزاحمة لاسطول الرومان فلابد وانه كان لهم ناظور بقرن الجبل يهتدون به في الظلمات

ولنرجع بك لحديث باب البحر بالذات فنقول ان هذا الباب كان معروفا بهذا الاسم في زمن الدولة الحفصية لان كتب التاريخ تعرضت لذلك الجامع الذي بناه الدعي احمد بن مرزوق المسيلي في سنة ٦٨١ وانه بناه خارج باب البحر ونجده ايضا باسمه هذا في المائة العاشرة عند كلام المؤرخين على حوادث احتلال الاسبانيول لتونس قال في المونس عند ذكر انتصار عساكر الوزير سنان باشا « ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر ملآنا بالسلاسل والاغلال » التي جلبها الاسبانيول في جملة ذخائرهم الحربية لجعلها قيودا في اعناق اهل تونس ولكنها باتت حول رقابهم كما قصه علينا التاريخ وسمعت من بعض من اثق برواياتهم ان باب البحر من اثار بني خرسان بناه احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق عند استبداده بالحكم في تونس حيث جدد اسوارها لاول المائة السادسة وكان في جملة ذلك البناء الحادث باب البحر واحمد هذا هو الذي بنى ايضا قصور بني خراسان ومنها القصر الاعلى المنسوب له جامع القصر الموجود لهذا الزمان وذكر بعض المؤرخين ان الواقف بصحن الجنايز بجامع الزيتونة كان في المائة العاشرة يرى مياه البحيرة بعينه الباصرة من موقفه مما يدل على فقدان العمارة حول باب البحر في ذلك العهد ولم يزل باب البحر معروفا باسمه هذا بين التونسيين الى هذا الزمان

اما هيكله في القديم فقد كان ضئيلا على قياس بعض ابواب مدينة تونس كباب سيدي عبد السلام وباب سيدي قاسم وباب القرجاني لعهد قريب وكان موقعه لنحو عشرين او ثلاثين خطوة ليسار الباب

---

دامت ادارة الناظور بيده سنين طويلة لحد اشتهاره باسم الحطاب الناظورجي عوض لقبه الاصلي وكان المكلف باسراج المنارة في ذلك الزمن رجل من قدماء العساكر اسمه زربوط يتقاضى من اجل ذلك عشرة ريالات في الشهر وكانت خدمة هذا الناظور من متعلقات وزارة البحر بحلق الوادي ولا يوجد غيره في القرن الماضي سوى ناظور جزيرة الكلاب وناظور راس ادار

الحالي بالنسبة للخارج قد سمعت ذلك من بعض مشيخة الجيل الفائت ورايت ما يؤيده فيما بعد بخريطة هندسية تقريبية لما كانت عليه الحارة الافرنجية بتونس في اواسط القرن الماضي ولما رجع المشير احمد باي من رحلته بفرنسا حيث شاهد معالم العظمة والثروة الواسعة كقوس النصر باريس وغيره من الآثار التاريخية الخالدة كما شاهد نظم الدولة الفرنساوية في عزتها وفخامتها تعلقت همته بمجاراة فرنسا في بعض مظاهر عظمتها — ولكن مع وجود الفارق — فزاد توسعة في قصور المحمدية ورتب الخطط الوزيرية وأحدث خطة أمير الامراء بالعسكرية كما أحدث الصنف الاكبر في سلسلة نياشين الافتخار قياسا على نظام (اللجيون دونور) ورتب ترسخانة بغار الملح وبنى مدرعة حربية من طراز فرقاطة وأبطل الرقيق بممالكه الى غير ذلك من المستجدات التي سهل عليه انجازها حب التعالي والتعاظم المحمول عليه بطبعه الذي وصفه لنا التاريخ وكان في جملة مبتكراته ايضا بعد ايابه من فرنسا انشاء باب البحر بعنوان معلم تونسي فخم يحاكي بعض ما شاهده في رحلته من اقواس النصر الكثيرة بفرنسا فامر بتشييد الباب المذكور عوض الباب القديم الضئيل الذي هو من بقايا العصر الحفصي فيما اظن وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨ الميلاد) فجاء كما تراه اليوم وكان القائم ببنائه المعلم محمد تيوه وممن شاركه في ذلك تلميذه المرحوم سليمان النيقرو مهندس البناء وقد كتبوا بالقلم الغليظ على واجهتي الباب داخلا وخارجا ابياتا من الشعر تذكارا لبنائه قيل من نظم المدرس الشيخ احمد بيرم المتوفى سنة ١٢٨٠ ورايت من نسبها لابن عمه الشيخ محمد بيرم الرابع فهي على كل حال جواهر بيرمية وعبارة الابيات المكتوبة على الواجهة الداخلية

بسم الله الرحمن الرحيم — ما شاء الله — وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بابداع هذا الباب قد صدر الامر ... من الملك السامي الذرا من له الفخر
فجاء عديم المثل ابرز شكله ... على صورة غرا يناسبها القدر
ولا بدع في ابداعه بمشيده ... تانق في احكام ءاثاره الدهر
وما هي اولى ما افاد فكم له ... بتونس من صنع يشاد به الذكر
ولما اكتسى ثوب التمام واشرقت ... محاسنه اللاتي يباهي بها العصر
غدا الدهر يشدو اذ يقول مؤرخا ... بنا احمد ذا الباب دام له النصر

١ ٢ ٦ ٤

واما الابيات المنقوشة على واجهة الباب الخارجية فهذه عبارتها

بسم الله الرحمن الرحيم — ما شاء الله — وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بانشاء هذا الباب قد كمل الفخر ... وسار مسير الشمس في الفلك الذكر
بـه امـر المولى المؤيـد من له ... مراقي علا ينحط عن نيلها البدر

| | |
|---|---|
| فجاء كما ترضى النفوس مؤسسا | على صفة ما حام من عدها فكر |
| اذا كان ما تبتدي الملوك ازاهر | فان الذي يبدي المشير هو العطر |
| فشكرا لما اولى وحق لمن غدا | جميل المساعي مثله الحمد والشكر |
| ودونك من ذا الباب عنوان فضله | ولج لترى الفضل الذي ما له حصر |
| اديمت له النعما وعوجل بالمنى | ودانت له الدنيا وطال له العمر |
| ولما انتهى تأسيسه وتكاملت | محاسنه اللاتي بها افتخر العصر |
| تسنى لمن قد قال فيه مؤرخا | بنى احمد ذا الباب دام له النصر |

١ ٢ ٦ ٣

ومصراع التاريخ في الواجهة الداخلية يوافق العام ١٢٦٤ المرسوم بها وهو بنصه لا يوافق العام ١٢٦٣ المرسوم بالواجهة الخارجية وكان في الامكان الجمع بين الاثنين لو قال « بنى احمد ذا الباب مد له النصر » عوض قوله « دام اه النصر » اذ بسقوط الف دام ينقص عام من حساب المصراع والقلب والابدال من خصائص لغة العرب ومقتضاه يكون تاسيس واجهة الباب الخارجية متقدمة بعام على بناء واجهته الداخلية وهو الشيء الذي يقبله العقل لان بناء معلم كباب البحر يستدعي لا محالة زمنا يستغرق اكثر من عام واحد ومهما كان الحال فاني اهدي في هذه الاونة عبارات الشكر الجزيل للفرنساوي الصميم مسيو ادمون مدير مغازة المقزان جنرال لانه هو الذي سهل علي نقل الابيات المرقومة على باب البحر بواجهته الخارجية من احدى نوافذ مغازته القريبة من الباب ومدني بنظارة بدعا في التجسيم والتفخيم لحل اشكالها الغامضة وتراكيبها المتداخلة ولولا هذه المساعدة لما تيسر لي نقلها لاستحالة اخذها بطريقة اخرى واما الابيات المرسومة على الواجهة الداخلية فقد كنت نقلتها لنحو ثلاثين سنة ماضية من مطعم (اوتيل) ايمون الواقع ببطحاء الباياصة (١) المعروفة في هذا الزمان ببطحاء لافيجري صاحب التمثال الذي اقيم بها في سنة ١٣٤٤

وقد رايت فيما تقدم ان باب البحر ليس له من الاسماء غير ما عرف به منذ القرون الاولى وهو اسمه المعروف به لهذا الزمان بين عامة التونسيين غير انه اشتهرت تسميته بين الاروباويين في بحر هذه الخمسين سنة باسم « باب فرانسا » كما اطلقوا اسم « شارع فرانسا » على النهج الفسيح الواقع خارجه فيما بين الباب وبطحاء السفارة الفرنسوية وما زاد على ذلك هو شارع جول فيري صاحب التمثال الذي سياتي الكلام عليه وكان هذا الشارع لا اسم له في الازمان الغابرة وانما سمي شارع البحيرة في اواخر القرن الماضي بعد تخطيطه وتمهيده بعناية المجلس البلدي بعد انتصابه

(١) لفظ باياصة معرب من piazza في الطليانية ومعناه بطاح وساحة وشبه ذلك

فلما اقيم للوزير جول فيري تمثاله (١) المعروف في سنة ١٣١٦ على عهد الوزير المقيم مسيو ريني ميلي بعد فتح مرسى تونس لسير السفن على عهد سلفه الوزير مسيو روفي (١٣١٠) ابدل المجلس البلدي اسم ذلك الشارع الذي هو اوسع شوارع تونس في ذلك الزمان فجعله شارع جول فيري تخليدا لذكر صاحبه حيث كان هو المبتكر لمشروع الحماية الفرنساوية بتونس ولم يكن لشارع البحيرة وجود قبل بناء قنصلات فرانسا خارج باب البحر بل كانت تلك الجهة وما حواليها كلها اراض موات لا تصلح للزرع ولا للضرع لانها كانت مغمورة بالاعشاب والادغال والحماضة وما تلفظه امواج البحيرة بالساحل ولم يكن بشاطئها سوى بناء ضئيل يعبر اليه من سرب على القدم او على البغال خلال تلك الادغال والوحل في الشتاء والغبار في الصيف للوصول لذلك البناء المنتصب به مامور القمرق المكلف باستخلاص المعاليم الموظفة على البضائع الصادرة والواردة على طريق البحيرة ودام هذا النظام القمرقي بتونس الى احداث الرقابة الاروباوية على مالية الدولة التونسية المعروفة بالكمسيون الذي وقع انتصابه في سنة ١٢٨٦ وضبط المال المتحصل من القمرق كان في عهدة شاهد البحيرة وءاخر من تولى الاشهاد على ذلك المرحوم الشيخ علي المحرزي - وفيما بين باب البحر والبحيرة كان بالجهة التي بها اليوم مقهى الكازينو معامل صنع القطران يسميها العامة مخازن القطران كانت منتزه الاحداث في وقت الربيع يذهبون للجلوس فوق سطوحها جموعا ووحدانا لاستنشاق ... الهواء العليل ولاكل بعض المقاثي والبقول الطرية كفصوص الفول الاخضر والفجل والبسباسة والخص مما كان ينتجه بعض البستانيين من فقراء النصارى حول بئر تأوي اليها مياه الخنادق عند جريانها للبحيرة وهذه الخنادق كانت في الجملة سبعة اعظمها خندق ضبيان الوارد من ربض باب السويقة وكانت مكشوفة على طول الخط الى ان تصل لمصبها بالبحيرة وقد وقفت لبعضهم على ابيات لطيفة في وصف مجالس نزهتهم بباب البحر مما يدل على ارتياح القلوب والرضا بالنزر اليسير في ذلك الزمان الذي ليس ببعيد

سقى الله باب البحر وطفاء ديمة　　تروي ثـراه العاطر النفحـات .

---

(١) صخرة التمثال المتحدث عنه اشتملت على ذوات اخرى حول قاعدة التمثال فالراس الذي بالقرص المستدير يمثل وجه مسيو برتلمي سانتيلار وزير خارجية فرانسا الذي امضي في مدته صك الحماية والذوات الاخرى هي رسم معمر فرنساوي يمثل الكد والجد في احياء الارض لاستخراج خيراتها وبركاتها ثم رسم امراة عربية بدوية تقدم سنبلة لجول فيري تحدثا بالنعمة والصبيان الجالسان يمثل احدهما صورة نجل الوزير المقيم مسيو ريني ميلي حالة كونه يعلم التهجئة والقراءة لصبي اهلي من اللفيف كناية على ان مساعي فرانسا ترمي لنشر آلاء التعليم بين كافة الطبقات

محل التصافي لامحا المحل رسمه ومنزل لهو ءآهل العرصات
لعمرك ما الدنيا ولا عيشها سوى عشيات انس فيه او غدوات
فلله يوم لم تر العين مثله حبانا سرورا والزمان مواتي
لدى حانة حنت اليها صبابة حشاشة نفس روعت بشتات
يدير علينا الراح ضبي مرند رهيف التثني فاتن الحركات
سقاني بعينيه كؤوسا من الهوى تمازج محياي بها ومماتي
غدوت اليها تختشي الاسد صولتي ورحت صريع الراح واللحظات

واول بناء عصري اقيم براس شارع البحيرة قبل تخطيطه وتمهيده هو قنصلات فرنسا وكان ذلك بمساعي القنصل المستعرب ليون روش في عهد المشير محمد باي الذي كان تجمعه بالقنصل المذكور صلة مودة ومخالطة شخصية زيادة على ما كان بينهما من العلائق الرسمية الحسنة فقد كانا يخرجان معا للصيد والقنص بجهة وادي الرمل فيما بين خنقة الحجاج وزغوان وبصيبان الشيء الكثير قالوا ان المشير محمد باي كان لذا رمى طائرا او حيوانا لم يخطه قط وبلغ من امتزاج مسيو ليون روش بسمو الباي مجاراته في بعض اخلاقه وعوائده حتى انه كان يستعمل نفة النشوق في مجلس الباي لان سموه كان يستعمل ذلك وكان الباي يهاديه بملابسه العربية الفاخرة فيتزي بها من ذلك برنس من الوبر اهداه القنصل بدوره فيما حكاه عن نفسه لصاحبه الامير عبد القادر الجزائري فارس العلم والجهاد رايت ذلك في كتاب له عنوانه « اثنان وثلاثون عاما حول الاسلام » وبديهي ان مصاريف بناء القنصلات المشار اليها كانت على نفقة الخزينة التونسية بناء على ان ملوك تونس متكفلون من عهد قديم باسكان قناصل الدول بمحلات مناسبة من املاك الدولة وكان التجار الاروباويون يسكنون من اواسط القرن الحادي عشر بالمحل المعروف بفندق النصارى الموجود لهذا الزمان بنهج القمرق القديم داخل باب البحر وبقربهم قناصلهم بالمكان وكان لهم بالفندق مصلى لاقامة شعائر دينهم وكانت مقابرهم بالبقعة التي بها اليوم الكنيسة المواجهة لدار السفارة العامة وهذه الكنيسة ام الكنائس بتونس تم بناءها في سنة ١٣١٥ هـ. وفي عيد الفصح من مواسم النصارى يوجه الباي على وجه المكارمة للقناصل طبل باشا مع مهتاره للعزف بالفندق وتكون البداية حتما بقنصل فرانسا بناء على ان ملوك فرنسا كانوا هم حماة النصرانية بالبلاد الشرقية والفناء الذي كان موجودا بين باب البحر وموقع القنصلات كان ترسم به سوق الخضراوات والبقول والفحوم وما اشبه وبالمكان نفسه بقايا حصن الباستيون ولعل من بقيته محلات قمرق الدخان القديم الذي مسح من لوحة الوجود في مبادي هذا القرن وما وراء ذلك كان مصبا للازبال المجتمعة بدور المدينة ومساكنها وشوارعها ولقد بلغ من امر هذه المزابل انها اعتلت حتى كادت ان تكون جبلا في عهد الباي حمودة باشا قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف ما معناه

ان تلك المزابل اورثت خوفا في نفس الباي لانها صارت جبلا يمكن ان يتترس به العدو ولاجل ازالة ذلك الخطر حمل الباي اهل المدينة على نقل تلك المزابل للبحيرة فاستغرقوا في ذلك عدة شهور ويلوح انهم كانوا في تلك الازمان ينتفعون في مثل تلك الاعمال الشاقة بمشاركة الاسارى والاسارى كانوا يفدون انفسهم بالمال الناض اما من عطايا المحسنين من بني جنسهم واما بما يتوفر لديهم من الاجور التي يكتنزونها مدة خدمتهم بالمصانع والمعامل الدولية او من خدمتهم بديار الاعيان وكانت فدية الاسير ثلاثمائة محبوب في زمن الباي حمودة باشا وبالجملة فان الحاضرة التونسية كانت لنحو مائة سنة ماضية وسخة قذرة فوق ما يتصوره العقل لذلك كانت الاوبئة تتعاهدها على دور العصور وبذلك وصفها كل من زارها من الاروباويين في ذلك العهد والشواهد على ذلك كثيرة ويكفي الاشارة لما هجاها به لنحو جيلين فارطين المعلم احمد فارس الشدياق في قصيدته التي يقول فيها

| | |
|---|---|
| يا عيشة مستنكره | في بلدة مستقذره |
| ما ان ترى من روضة | فيها ولا من شجره |
| الا غبارا ثائرا | في الصيف بئس الغبره |
| وفي الشتاء وحل | تغوص فيه البقره |
| وفي الطريق جثث | مبثوثة منتشره |
| من حيوان ميت | وبشر للعذره |

وهي طويلة احتوت على ما هو أشنع وأقبح من ذلك ويا ليته عاش لهذا الزمان ليكتب لنا من نظمه كفارة سيآته او ليردد معي هذه الابيات التي نظمتها على روي قصيدته :

| | |
|---|---|
| يا عيشة مستبشره | في بلدة مستحضره |
| ما ان ترى الا الريا | ض الباسقات النضره |
| وطرقا ممدودة | ممشاتها مشجره |
| ذات ظلال بالثنا | في الصيف يا ما اجدره |
| وفي الشتا منتزه | للوافدين البرره |
| وكل بيت حوله | مذياعة كالمخبره |
| بما يهزه الفضا | من موج صوت البشره |
| تضيئه اشعة | من كهربا منتشره |
| مع تلفون ناطق | يشبه بعمل السحره |
| وبالطريق عجلة | اسرع من برق تره |
| وفي السما طيارة | لقمع شر الفجره |

والقوم بين ضاحك ومعجب مما يره
صدى لسان حالهم عن السنين الغابره
يقول بئس ما مضى ونعم حال حاضره

ويابى القلم ان يتعرض بسوء للشيخ احمد فارس لان له حسنات كثيرة في مقام الادب والتحرير والحسنات يذهبن السيئات ولانه من جهة اخرى حكى ما شاهدت عيناه تحت تاثيرات الخيبة والاخفاق لانه جاء تونس مؤملا اكتساب حيثية له بالدولة فلم يحظ منها بسوى خطة ضئيلة بحلق الوادي لذلك ترثى لحاله بقصيدته التي مطلعها

مـاذا جنيت وما جنت اجـدادي حتى غـدا حبسي بحلق الوادي

على ان قصيدته في هجو تونس اجابه عنها الشيخ محمد بيرم الرابع بقصيدة نعرف منها بيتا واحدا وهو قوله

المسلمون صدقوا بجنة منتظره

وهذا البيت يكفينا لفهم ما غاب عنا من باقيها رحم الله قائلها واثابه

وفي النصف الثاني من القرن الماضي اخذ الافرنج نزلاء تونس يتوسعون بالسكنى وبالتجارة داخل باب البحر فكانت ابنيتهم متعالية ومتاجرهم نافقة بحومة سيدي المرجاني وما اليها ووافق ذلك الاعلان بقانون عهد الامان ومن شروطه امتاح حرية البيع والشراء لسائر الاجناس الامر الذي سوغ للاروباويين تملك الربع والعقار مع التمتع بجميع الحقوق الممنوحة لابناء البلاد. وحومة سيدي المرجاني كانت يومئذ خاصة بالافرنج واهم انهاجها الزقاق المعروف بنهج الكنيسة في هذا الزمان سموه كذلك في مبادي هذا القرن نسبة لكنيسة سانت كروا ( الصليب المقدس ) وهذه الكنيسة كانت في القديم مارستانا للنصارى اسمه عندهم « مستشفى اهل الثالوث » كان تاسيسه في اوائل القرن الحادي عشر. وفي عهد المرحوم المولى حسين باي بن محمود باي رخص لهم بجعله كنيسة في سنة ١٢٤٩ وزيد لهم في ساحتها نحو عشرين ذراعا على عهد المشير احمد باي في سنة ١٢٦١ ثم ان المشير محمد الصادق باي تفضل في سنة ١٢٩١ بدار بسوق البراملية قرب تلك الكنيسة على جماعة الرهبان من فرقة ( اخوة المكاتب النصرانية ) للسكنى بها ولتعليم ابناء النصارى بتونس بحيث ان حومة الافرنج داخل باب البحر كانت في اواخر القرن الماضي تامة النصاب متوفرة المرافق ناهيك انه كان بها تجار لبيع الكتب العربية كالاسرائيلي لياه المليح المتمتع بالحماية الطليانية فقد انتصب في سنة ١٢٩١ لبيع مصاحف القرءان الكريم وموطا امام دار الهجرة مالك بن انس مع رسالة في جواز لبس البرطلة (١)

---

(١) البرطلة شيء كالمظلة ليست من كلام العرب عند الاصمعي بل هي معربة من النبطية اهـ. من شفاء الغليل

اسمها « اجوبـة الحيارى عن قلنسوة النصارى » للشيخ سليمان الحرايري وفتوى له في اباحة زكاة اهل الكتـاب مما يدلك على الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها الاروبـاويون ومن استظل بحمايتهم المنيعة في ذلك الزمان وما لبثت محاسن التمدن العصري ومظاهره الخلابة غير قليل حتى استهوت ابناء تونس وامتلكت بهم فكانوا بين سابق ولاحق للكرع من مناهله وحياضه والتمدن حلو حامض ولك ان تقول من طعمه وكنهـه كالرمان اذا لم تحسن علاج هضمه احدث بجوفك امساكا خطيرا ومن أراد ان ياكل من ثمار التمدن بدون خطر فعليه اكل اللب وطرح اللباب ويلوح ان الكثير من اخواننا التونسيين عكسوا القضية لانهم ملاوا جرابهم بقشور التمدن وتركوا لبه لغيرهم

وفي سنة ١٢٨٨ تم نصب السكة الحديدية بين تونس وحلق الوادي واختير ان تكون محطة الركوب بالفناء الواقع على مقربة من الدباغين لكون تلك البقعة كانت يومئذ مركزا وسطا بين الاحياء العربية والحـارة الافرنجية ونشأت بحكم الضرورة ابنية جديدة حوالي موقف الارتال لم تكن موجودة من قبل . وفي عهد وزارة خير الدين صرف هذا الوزير المصلح عنايته نحو تهذيب الشارع الواقع خارج باب البحر قياسا على ما انجزه من التنسيق والتهذيب بحديقة القصبة وبطاحها فانشأ حديقة خارج باب البحر بالمكان المجعول موقفا للعربات في هذا العهد حيث بـالاص البكوش(١) الذي هو من اول الابنية المحدثة خارج باب البحر على النمط الاروباوي(٢) في اواخر القرن المـاضي ورتب الوزير المذكور عشرين فـانوسا بلديا منها ثمانية لاسراج بطحاء القصبة وبـاب البحر والبقية وزعها باطراف الحاضرة واول حومة عربية استنارت بضوء الغاز هي سوق البلاط وكان ذلك في سنة ١٢٩١ ولما وقع تنوير واجهة سراية المملكة ليلة المولد الشريف من ذلك العام كتبوا بـاحرف النور فوق بابها عبارة « محمد الصادق باشا باي دام عزه وعلاه » فاعجب الناس بذلك واستغربوه ايما استغـراب حتى ان من لم يره منهم لم يصدق به عند سماعه من غيره . وكان بالجهة المجاورة لبالاص البكوش محلات خدمة دار الجلد وهو نظام دولي قديم عفت رسومه بشكله المذكور عند ابطـال الكمسيون وانتصاب ادارة المال بتونس وكان ذلك النظام يسمى « دار الجلد والسكين » تتقاضى الدولة منه معـاليم معتبرة على ما يذبح ويباع من الانعام وجلودها وءاخر من تولاهـا المرحوم امير اللواء العربي زروق وكان

(١) لفظ بالاص معرب من Palazzo في اللغة الطليانية ومعناه قصر وصرح وسراية وشبه ذلك والاسم المضاف اليه هو لقب امير الامراء ابي عبد الله محمد البكوش مستشار الوزارة الخارجية على عهد المشير محمد الصادق باي تولى عدة اعمال معتبرة وقام بماموريات هامة على عهد الدور القـديم توفي رحمه الله سنة ١٣١٢

(٢) اول دار بنيت على النمط الاروباوي بالاسلوب الطلياني هي دار الوزير مصطفى صاحب الطابع الواقعة على مقربة من حبل المنار وهي نفسها في هذا الزمن كنيسة سانت مونيك باضافة ما زيد بواجهتها عند صيرورتها معبدا نصرانيا في اوائل هذا القرن

مع ذلك رئيسا للمجلس البلدي ومديرا للمدرسة الصادقية هاجر المدينة المنورة في منسلخ القرن الماضي وتوفي بها سنة ١٣٢٠ رحمه الله

وهذه المنشئات والتحسينات التي تناولت الحارة الافرنجية وغيرها في عهد الدولة الصادقية حدثت كلها بعد هدم السور الداخلي الذي كان فاصلا بين قسم المدينة وبين قسمي الربضين وكان موقع هذا السور هو خط التراموا ي المار بباب البحر وباب الجزيرة وباب الجديد وباب منارة والقصبة وباب البنات وباب السويقة وباب قرطجنة الى باب البحر حيث البداية وجميع تلك الابواب كانت تغلق مع غيرها من الابواب الصغيرة التي كانت بغلقها تقطع المواصلة بين الحارة واختها داخل المدينة نفسها وهي عادة قديمة كانت موجودة في الدولة المرادية بزيادة غلق ابواب البلاد ( باب الخضراء وباب سيدي عبد السلام وباب سعدون وباب العلوج وباب سيدي عبد الله وباب سيدي قاسم وباب القرجاني وباب الفلة وباب علاوة ) في الليل وعند صلاة الجمعة في النهار (١) فلما آلت الدولة للمشير احمد باي ابطل غلق ابواب البلاد في وقت صلاة الجمعة ولما اعلن المشير محمد الصادق باي بقوانين عهد الامان ابطل غلق جميع الابواب الداخلية بالحاضرة في الليل ولم يستثن منها الا ابواب الاسواق وما زالت كذلك الى هذا الزمان وكانت حاضرة تونس تحيط بها اسوار رابطة لابوابها التسعة المتقدم ذكرها وقد اضيف لها باب عاشر فتحه المجلس البلدي في اوائل هذا القرن واسماه باب العسل اقتباسا من درب العسال الواقع به الباب المذكور . والاسوار المذكورة اول ما بنيت في المائة الثالثة على عهد بني الاغلب امراء القيروان ثم زيد فيها اثناء المائة الرابعة باشارة من المؤدب عالم الظاهر والباطن سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وتناولها التجديد مرارا في عهد الدولة الحفصية وءاخر من جدد عمارتها الملك الصالح الباي حمودة باشا الحسيني شرع في بنائها سنة ١٢١٧ وكللها بالابراج لسكنى عساكره وكتب على ابوابها تاريخها باللغة التركية سياسة منه مع الجند ومحصل الكتابة ان آلآمر بالبناء هو السلطان سليم خان الثاني في مدة الباي حمودة باشا « اول كريم اول همام نصره الله الى يوم القيام » وقد رايت في بعض التواريخ ان الذي باشر هندسة تلك الاسوار عن اذن الباي رجل من بلاد الفلمنك اسمه هنبير ولا غرابة في ذلك فان الباي محمد الرشيد بن المولى حسين بن علي كان طلب من الدولة الفرنسوية ان تمده بمهندس يستعين به على تجديد عمارة اسوار القيروان وحصونها بعد ان دمرها ابن عمه الباشا علي باي الاول فوجهت له المهندس ترينكانو في سنة ١١٧١ قال الراوي « لما انتهت مامورية هذا المهندس احسن له الباي بتسعمائة محبوب مع حصانين وما يحتاجه من لوازم السفر للرجوع الى بلاده واسوار تونس حكم اهل النظر بهدمها في هذه الايام ( ١٣٥٧ )

---

(١) كانوا يغلقون ابواب البلاد عند الاذان لصلاة الجمعة خوفا من هجوم الاعراب على الحاضرة بنية النهب والفساد عند اقامة الصلاة

الأدب

# مولد الرسول عليه السلام

قد لاح بدر السعد من حجبه ... فاهتف له يا دهر واسعد به
وناد في الاكوان ان قد اتى ... محمد المحمود من ربه
طه مجير الناكبين اذا ... ما اشتد روع المرء من ذنبه
طه الذي قد جاء للناس بالـ ... ـفرقان هديا عز عن مشبه
فاضحت الالسن خرساء وار ... تاعت كماة القول من عضبه
وبانت الاوثان مثلولة ... وامست الاحلام من حزبه

---

بداعي التوسعة وتوفير الهواء والضوء الكافي للرباعات والدور المسكونة خلفها وقرروا فيما سمعنا ابقاء جزء منها بعنوان بناء تاريخي لافادة اهل الاجيال القابلة بما كانت عليه مدينة تونس في عهد الاجيال الماضية والتاريخ كما يثبت بحجارة الجدار يثبت أيضا بما تخطه الاقلام والاقلام هي محاريث العقول لذلك تناولنا هنا حديث ما كانت عليه تونسنا المحبوبة وتربتنا المرغوبة ليكون صلة وصل بين زمن الاجداد وبين زمن الاحفاد - ونختم هذه النبذة بالاشارة لعدد ما كان بتونس من السكان في اواسط القرن الماضي فقد قدر المؤرخ بيليسي عددهم بسبعين الفا على وجه التقريب وقدر المؤرخ كيران عددهم في صدر دولة المشير محمد الصادق باي بتسعين الفا منهم ستون الفا من المسلمين وعشرون الفا من اليهود وعشرة ءالاف من مختلف اجناس الاروباويين ونستبعد صحة تقديره الخاص باليهود وعندي ان عددهم كان دون ذلك بكثير لان ابناء الطائفة الاسرائيلية كبقية التونسيين تكاثرت اعدادهم في بحر هذه الخمسين سنة بفضل الاسعافات الصحية المتنوعة التي انجزتها الدولة بتونس فاذا اعتبرنا ان عدد اليهود سكان الحاضرة بلغ حسب احصائية عام ١٩٣٦ الى ٢٧٣٤٥ نفس نجزم بانهم لم يكونوا قبل هذا الزمان بمائة عام اكثر من نصف العدد المذكور على اوسع تقدير واما عدد سكان الحاضرة من المسلمين فقد بلغ في احصائية العام المذكور الى ٩٣٣٥٦ نسمة وقد رأيت في تاريخ المشرع الملكي ان سكان تونس في مدة المولى حسين بن علي كانوا نحو مائة وخمسين الفا وهو محل نظر اللهم الا اذا اعتبرنا ما حدث بتونس من الاوبئة الكثيرة والحروب الداخلية الحاصدة للارواح في بحر القرنين الثاني عشر والثالث عشر اما مجموع سكان الحاضرة التونسية في هذا الزمان حسب احصائية عام ١٩٣٦ التي هي ءاخر احصائية رسمية لعموم السكان فعددهم بالحساب المدقق ٢١٩٥٧٨ نسمة منهم المسلمون واليهود المتقدم بيان عددهم ومنهم ٩٨٨٧٧ اروبويون يوجد ضمنهم من الفرنساويين ٤٢٦٧٨ والبقية من عموم الاجناس الاروباوية وءاخر ما اقول هو قول زهير

واعلم ما في اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

لا اللات تنيهم ولا هبل ... عن الهدى والكرع من صوبه
وهل يسود البغي او يعتلي ... والحق شاكي السمر من قضبه
وحجة الاسلام وضاءة ... يبصرها الانسان من لبه
قبل اللسان القلب يذكرها ... وهل يشك القلب في كسبه
لا شك لا طغيان لا ظلم في الـ ... ـا سلامُ لا تبديل في كتبه
لا خلف لا اشراك لا بغي لا اسـ ... ـتبداد لا عدوان في صحبه
للنفس فيه منهل تسرع ... تستمريء الاخلاق من شربه
ءادابه للروح منتزه ... اريج هذا الكون من تربه
يافخر عام الفيل من ليلة ... قمراء لم تبق على سحبه
لاحت بها للمصطفى غرة ... من كنف الغفران من شعبه
عراص بيت الله حيث المنى ... تحرزها القصاد في رحبه
يا ليلة حف الجلال بها ... فاشرقت تختال في ثوبه
لانت عيد الدهر ياليلة ... اعز عند الله ممابه
فيها اتى الشفاء موقضها ... لتقبل المولود من ربه
لبت ففاض النور من حجرها ... فامتاز شرق الكون من غربه
وام ذاك البدر محتاطة ... بالهالة الزهراء من شهبه
يسقي رذاذ الطلق وجنتها ... مكفية الالآم من كربه
تكللت بالبشر غرتها ... فامطرت بالعطر من قربه
راته والاملاك تكنفه ... عظيمة الاخلاص في حبه
ران الى العليا بمقلته ... ونورها الوضاح في جنبه
يا بهجة الاكوان ياتاجها ... يا نصرة الانسان في حربه
يا خير خلق الله يا مجتبى ... يا ناشر الاسلام في حزبه
يا خاتم الرسل ابا القاسم الـ ... ـمرموق بالاجلال من ربه
يا ناصر الاخلاق يا من به ... يستشفع الخائف من ذنبه
كن حامي الاسلام من نكبة ... مطعنها المقصود في لبه
وانقذه من اشرار امته ... وذد شرور الخلف عن صحبه
فما لنا في الامر من كنف ... الاك يا فردا بلا مشبه
واغفر قصور القول من شاعر ... زف اليك الشعر من قلبه
وكن له يوم اللقا شافعا ... ينشدك خير الشعر في قربه
صلى عليك الله ما سطعت ... لألاء بدر الافق او شهبه

الطاهر القصار

# سعادة الامة بتعاون افرادها

« وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا »

ان اعظم ما تسعى اليه الامم التي عرفت كيف يكون احتلال المقام الاسمى تحت قرص الشمس هو العلم ونشره بين سائر طبقات الامة لا فرق بين ابن الشريف والصعلوك او المالك والمملوك فبمقدار انتشال الامة لابنائها من هوة الجهالة السحيقة يزداد اسعادها وتعم رفاهيتها و يعظم صيتها وتحفظ بيضتها وتمنع حوزتها ويعظم شانها بين الامم وليس هنالك معول هدم وتخريب ياتي على سعادة الامم فتصبح اثرا بعد عين كداء الجهل المميت فهو الداء العضال الذي ما تمكن من جسد امة الا خارت معه قواها وتهدمت اركان سعادتها وطمست معالم مجدها وابيحت ديارها وملكت امصارها وتلاعبت بها اهواء الامم واغراضها وفي ذلك استعباد افرادها ونزع ثروتها وهتك ستورها ومحو ميزاتها والابتعاد بها عن تعاليم دينها والقضاء المبرم على لغتها التي لا بقاء للامة مع زوالها

اذاً فبالمعارف تحيا الامم ويحسن مثالها و بفقدانها يمحى اسمها من صحيفة الكون .

وتونس الفخورة بمجدها وتراث اسلافها في ميداني العلم والمدنية قد ادركت هاته الحقائق التي لا مريه فيها بعد ان تصاممت عن سماعها والتفكير فيها ردحا من الزمن كانت تتخبط اثناءه في ديجور الجهالة القاتم فاصبحت بحمد الله تعالى عاملة جهد المستطاع لاحياء ما اندثر من ربوع معارفها الزاهرة وابناؤها البررة يتزاحمون بمدارسها التي ضاقت عن ايواء جميعهم وكليتها الزيتونية تحتظ من ابنائها ما يناهز الثلاثة الاف واهل العزائم يتجشمون مشاق السفر والتغرب ويهجرون الاهل والخلان تطلبا لاستكمال بمختلف العلوم المفقودة بربوعنا كل ذلك لتخليص الامة من شقوتها والنهوض بها من كبوتها وسنصل بحول الله تعالى الى الغاية التي نسعى اليها بفضل تعاون ابنائها في كل ما يعود على المجموع بالسعادة والرقي .

فاذا كان شبانك ايتها الامة التونسية الماجدة هاته غايتهم وتلك امنيتهم التي عقدوا الخناصر عليها وعاهدوا الله على تحقيقها فلا اخالك تبخلي عنهم بما يخفف شيئا من عبء ما تحملوا به من اجل اسعادك ان بعض ابناء كليتك الزيتونية قد عضهم الدهر بنابه وعظم عليهم المصاب بسبب هاته السنين المجدبة التي افقدتنا الزرع والضرع فاصبحوا يبيتون على الطوى الليالي ذوات العدد ويكتفي الكثير منهم باكلة واحدة الله اعلم كيف يتوصلون اليها ولربما كان ثمنها اراقة ماء وجوههم الثمين ولا تسأل عن هاتيك الاطمار الباليات التي لاتقيهم البرد القارس ولا تكفيهم شر ما ينجم عنه من امراض خطيرة كثيرا ما قضت على شبابهم الغض وافقدتك رجالا ما اشد حاجتك اليهم في هذا الطور من حياتك طور نهوضك وتشييد ما انهار من معالم مجدك

( البقية على صفحة ٤٠٧ )




| الجزء العاشر | في جمادى الاولى ١٣٥٧ وفي جويلية ١٩٣٨ | المجلد الثاني |
| --- | --- | --- |


# الاخوة الاسلامية

— ٢ —

المساواة في الحقوق وما ادراك ما هي ركن من اركان الاسلام اعتبره الله في احكام هذا الدين وابرزه نورا في سماء تلك العصور المظلمة . التي ساد فيها الارهاق والجور . واستحكم عند رؤساء تلك الامم مبدأ الانانية ، وان شئت قلت الاستقراطية البالغة الحد الاقصى حكموا بها الرعية واستبدوا في احكامهم . فسطع نور المساواة في الحقوق ورفرف على رؤوس تلك الجيوش المؤمنة بالاخوة الاسلامية فقطعت الفوارق التي بين الطبقات ونادوا في اهل كلّ بلد يغزونها حبوا الى دين الاسلام ، دين الاخوة والمساواة ، وفكوا الاغلال عن نفوسكم وادخلوا في دين الله احرارا ، كما خلقكم احرارا .

واما ما لابسها في العصور الاسلامية الاولى مما بدل شكلها وما احس به من الفوارق اهلها فذلك يرجع الى ما داخل الامة من تعاليم غيرها من ناحية وما بيته لها اولئك الذين غلبوا عن امرهم وتسليم المسلمين من ايديهم راية ملكهم ونفذوا فيهم احكام الشريعة السمحة كما امرهم به ربهم وما زال هؤلاء من الروم والفرس ممن لانت قناتهم بحكم القرءان وظهور المسلمين على بلادهم يعملون جهدهم المستطاع في تقسيم وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم وتشتيت آرائهم فتكونت بذلك الخلافات السياسية ، ونشا عنها انقسام الخلافة الاسلامية الى دولتين دولة بالمشرق وعلى راسها امراء بني العباس ودولة بالمغرب وعلى راسها امراء بني امية النازح أصلهم من الشرق بعد سقوط الخلافة في يد العباسين وخروجها من يد آل امية

ويحق لنا ان نعد هذا الحادث التاريخي العظيم اول نفرة من نوعها وقعت تسبب عنها تعدد دول الاسلام . وانفصال كل دولة عن الاخرى بصفة رسمية نظامية تنظر كل واحدة الى شؤونها الخاصة غير ملتفتة الى اختها ولا تشتكي بشكواها ولا يهمها من امرها شيء اذا مس الضر بعض اعضائها .

ثم اخذ هذا الانقسام يتكرر ويعقبه انفصال قسم بعد قسم من المسلمين عن جامعتهم العظمى الى ان صار المسلمون دويلات صغيرة بعد ان كانوا تحت راية واحدة ويأتمرون بأمر واحد . ويعملون لغاية واحدة . وتسود في نفوس الجميع.قوة واحدة الا وهي الاخوة الاسلامية

واما ما طرأ عليها في العصور الحديثة مما مزق شمل هاته الامة مع وفرة عددها وانتشار افرادها في غالب جهات المعمورة. ولا عبرة بكثرة العدد . ما دام الجميع ليسوا على قلب رجل واحد فذلك يرجع الى امور متعددة لا نتمكن في هذا المقام ان ناتي على جميعها . وانما نقتصر على شيء من المهم منها . فمن ذلك عدم احساس المسلمين بمعنى هاته الاخوة في نفوسهم وذلك منشؤه البعد الشاسع بين تعاليم الملة المحمدية والتربية التي يتكون عليها بنو الاسلام منذ احقاب فينشا المسلم بين اهل الاسلام وهو لا يعلم من هذا الدين الا النزر القليل جاهلا لما اختاره الله له من كمالات لاسلام غير عالم بما شرع له من النظم الاجتماعية العالية . لا يبحث عن مميزات دينه وبماذا امتاز عن سائر الاديان . لا يهمه ان يعلم كيف نشا هذا الدين والى اي حد بلغ المسلمون في سالف الازمان . لا يتطلب معرفة ما فرضه عليه نحو نفسه . وعشيرته . واهل بلاده . وسائر المسلمين في اي مكان . ومن كان هذا حال نشاته ويحيا بقية عمره في هذه الجهالة ظلمات بعضها فوق بعض كيف يتوصل الى ادراك معنى الاخوة الاسلامية التي تاسس عليها ركن هذا الدين .ومن اين لنا ان نلتمسها في افراد الامة بالمعنى الصحيح

فان من مظاهر حياة الامة ما يكون عليه افرادها من الصفات المتأصلة في نفوسهم الشاعر اهلها انها الدعامة التي قام عليها مجدهم وعزهم يحافظون عليها ويلقنها الشيوخ للشباب ويدرسها المعلم لتلاميذه وتعتمد عليها الام في تهذيب اخلاق ابنائها حتى تجري منهم مجرى الدم وترسخ في عقول الناشئة كما ارتكزت في نفوس من قبلهم . وبما ان التعاليم الاسلامية اهمل امرها . ولم تتراعى في تكوين الناشئة من ابناء المسلمين منذ امد بعيد في سائر بلدان المسلمين لا بدع اذا اصبح المسلمون لا على نحو ما كان عليه اسلافهم ولم يجدوا في نفوسهم معنى تلك الاخوة التي وصف الله بها المؤمنين حيث يقول انما المؤمنون اخوة . وهل يجتمع الشمل والمسلمون لم يعتمدوا في تكوين نفوسهم وامتهم على الطريقة التي جمع بها الرسول الاعظم امته والف بين قلوبهم فاصبحوا على قلب رجل واحد . وما داموا لم ياتمروا بقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة

الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

فحري بمن في قلبه حبة خردل من ايمان ان يضع هاته الحقيقة نصب عينه ويطهر نفسه من داء التخاذل وينمي فيها الاخوة الاسلامية باوسع معانيها ويربي عليها ابناءه وعشيرته . ويذكر بها خلانه ويتحدث بها في مجالسه حتى يتهيأ للعمل الجميع بمقتضى ما توجبه .وهنالك الفلاح المنشود من الجميع

ومما طرأ على هاته الاخوة فخلخل بنيانها وزعزع دعائمها النزعة الطائفية التي تغنى بها ابناء هاته العصور وتعوضوا عن الاخوة الاسلامية بالفوارق الجنسية فاصبحت الامة التي كانت تفتخر بنسبتها الى الاسلام ولا ترضى عنه بديلا تنتسب اليوم الى جنسيات مختلفة . هاته تركية طورانية وتلك عربية واخرى فارسية اعجمية وهاتيك مصرية فرعونية وهاته تونسية وهلم جر . وتأصل هذا الداء في النفوس . فصار المسلم القادم من بلاد الهند الى ارض الاسلام ومدينة الرسول يعد اجنبيا عن البلاد واهلها لا يهتم احد منهم بامره ولا يهمه امرهم مثاله في بلاد الحجاز كمثله في بلاد اروبا يلتجي في شؤونه ومصالحه الى قنصل دولته فارا من احكام المسلمين ويخاطب في شانه قنصل دولته ان صدرت منه مخالفة ليجري عليه ما يقتضيه قانون بلاده بحكم مقررات هاته الدول التي اعتبرت الفوارق الجنسية وهذا اعده اكبر الاخطار والمعول الصلب الذي اتخذ لتهديم الجامعة الاسلامية لا قدر الله . وبقينا نرى ان دعاة الاحلام واصحاب النهضة الحديثة اذا صح لنا ان نسميها نهضة يدعوا كل واحد منهم ابناء وطنه كما يعبرون الى التمسك بحبل الوحدة الوطنية . ويتغنى شبابهم باناشيد الوطنية . ويتحمس زعماؤهم في سبيل قوميتهم ووطنهم يجري ذلك في سائر بلاد المسلمين ويؤلفون احزابهم باسم الوطنية الجنسية .ويكونون جمعياتهم بهاته العقلية . وهنا اقف مستثنيا جمعيات الشبان المسلمين . التي اعتبرت هاته الفوارق حجر عثرة في سبيل النهضة الاسلامية المباركة . وتنبهت الى ان صلاح هاته الامة لن يكون الا بما صلح به اولها . فانتسبت الى الاسلام الذي هو الاخوة الجامعة .واخذت تنشر فضائل هذا الدين لاحياء ذلك المعنى في النفوس واعطت عضوتها لكل من ابلى في سبيل هذا الغرض الاسمى بلاء حسنا . ونتج عن سعيه مظهر من مظاهر الاخوة الاسلامية

فمن ذلك ما تكاتفت عليه جامعة الشبان المسلمين في هاته الديار وفي غيرها من بلاد المسلمين بالمشرق من السعي لفائدة اخواننا المسلمين منكوبي فلسطين وقام جميعها بدعاية طيبة تحقيقا للاخوة الاسلامية ونتج عنها اثر جميل من آثار الاخوة الاسلامية . وبذل المسلمون ما جادت به نفوسهم لاخوانهم في الاسلام ولو ما الاخوة الاسلامية ما جاد واحد منهم بماله الحريص عليه

وبمثل ذلك عملوا في الضائقة العظيمة التي لحقت اهل يثرب سكان مدينة الرسول عام ١٣٥٣ يوم كانت المدينة المنورة في مسغبة تشابهها من بعض الوجوه مسغبة بلادنا في هذا العام العصيب

فمثل هذا العمل لم يكن موجودا منذ زمن طروء فكرة الفوارق الجنسية ونؤمل من انتشار مبادي جمعية الشبان المسلمين بين كافة افراد الامة الاسلامية في سائر الاقطار والدعوة الواسعة النطاق الى نبذ تلك الفوارق وعدم الاعتداد بها واقامة هيكل الامة الاسلامية من جديد على التآخي الاسلامي الذي لا تماثله قوة . ولسنا نقول هذا على معنى هدم القواعد التي اتخذتها الحكومات في حكم رعاياها بل لكل قطر عاداته واوضاعه . وانما ننقم على ما كان منها غير مراعى فيه الاصول الاسلامية فان امام اصول الدين تضعف كل الاوضاع والعادات .

زد على ذلك ما يسنه المسلمون فيما بينهم افرادا وجمعيات واحزابا مما تصادمه قاعدة من قواعد الاسلام فهو ادعى للرفض واقرب الزوال واحسب ان الذي تركهم يسلكون تلك المسالك الوعرة هو عدم تحريهم ولو احتاطوا وطد المسلم نفسه على ان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه مما وقع في محذور لجهالته ولادعى اخوانه المسلمين لما لا يلائم تعاليم دينهم الحنيف وليس هذا هو خاص بما نحن بصدده من شأن الاخوة الاسلامية . بل نقوله في اغلب الامور الاخلاقية والاجتماعية التي تبدل شكلها واصبح المسلمون يتباعدون عن طريقتهم المثلى التي جاءهم بها الاسلام رويدا رويدا وسرت فيهم امراض فتاكة لاكل الخضر على هيكل الامة باسرها . فانك اذا تصفحت المجلات الاسلامية على اختلاف اغراضها واوطانها تجد المصلحين يتذمرون مما حل بالمسلمين ويشتكون الى الله مما صار اليه المسلمون كل ذلك من مفعول هذه العدوى الفتاكة . ويخيل اليك ان الكاتب يصف اليك ما هو جار في بلادك ويشاهده في قومك . فالالم واحد والمرض واحد والامة واحدة . ولا مفعول ولا تاثير لدعوى اختلاف الاجناس .

على ان الامم التي رضخت الى اعتبار الجنسية في نظم حكوماتها وكونت لنفسها ولمن يتجنس بجنسيتها وحدة خاصة بسببها وتتبع بنو الاسلام خطاها ما لبثت حتى تبصرت وان هاته القيود لما احاطت بها من كل نواحيها وتركتها في معزل عن اشد الناس قرابة بها اخذت تحطم تلك القيود مرة تلو اخرى فمرة نسمعها تنادي ان لا جنسية في الاقتصاد لتفتح لابنائها المجال في تجاراتهم ومعاملاتهم مع سائر الاقطار واخرى نسمعها تقول ان لا جنسية في السياسة وعلى الامم التي تريد ان تحيا حياة ملؤها الاطمئنان على مستقبلها ان تزيل تلك الفوارق القديمة . وتكون جبهة واحدة متماسكة الاطراف ونحن اليوم ايجدر بنا ان نجهل مزايا الاخوة الاسلامية ايليق بنا ان نطلب الاتحاد ولا نقيمه على اساس الملة المحمدية

اين النجدة الهاشمية اين الغيرة الدينية اين الايمان الصادق . اين الشهامة والمنعة . اين الارواح الطاهرة . اين العزة . والله يقول . ولله العزة ولرسوله والمؤمنين . تيقظوا انتبهوا فان الله يقول ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فالى متى ونحن عالة على من سوانا لا نمد يد الاخوة الى بعضنا وننسج على منوال اسلافنا ونحكم كتاب الله بيننا ونتمسك بما ارتضاه الله لنا والله قد ارتضى لنا الاسلام دينا فبذلك تتم لنا السعادة ونفوز برضى الرحمن .

محمد الشاذلي بن القاضي

# تفشي استعمال المخدرات

## بين شباب الامة

ان امراضنا الاجتماعية كادت تضرب الرقم القياسي العالمي بين امراض غيرنا من الامم فلنا في كل حلبة وميدان من ميادين السقوط الاخلاقي والانحلال الاجتماعي والامراض النفسية والعلل الروحية السبق والقدم المعلى فما جارتنا امة من امم الارض في هذا الميدان الا كنا المجلين عليها والرافعين لراية الاسبقية باليمين،

وان من افضع ما انتشر بين شبيبتنا المسلمة في العصر الحاضر وزاد في الطين بلة وعلى المريض علة داء المخدرات الروحية التي فتكت بالامة فتكا ذريعا حتى قطعت منا الوتين ورمتنا باخر سهم قضى على البقية الباقية من هيكلنا البالي ولابلاء العظم الدفين فما اكتفينا بما كان منتشرا بين امتنا في القديم من انواع المخدرات المهلكات حتى اضفنا اليها انواعا جديدة من انواع النشوق الذي اخترع اخيرا مجاراة لبعض الامم الحية التي اتخذت هذه الانواع الجديدة واضافتها لقائمة الكحول تفننا في ابتزاز عقول الناس واموالهم بدعوى التسلية وترويح النفس من عناء الاعمال ودفع الهموم ما امكن عن نفس الحزين والمهموم فقمنا نحن بقسطنا من الانتفاع بهذا المسلي المروح لنفوسنا حيث لا اعمال ولا اشغال وانما الراحة الدائمة والتسلية الدائمة والموت الزؤام

بل بززنا غيرنا من الامم جريا على عادتنا في ذلك فعكفنا عليه ووجهنا جميع قوانا الفكرية والجسمية للتحيل على اقتناصه ولو بتعريض انفسنا الى اشد الاخطار الحكومية من سجن واذلال وغيرهما من البلايا الجسام

وهكذا اخذنا في التقدم في هذا المضمار وعم استعمال هذه السموم البيضاء السهل والجبل واهل المدن والقرى فبتنا معرضين لادواء فتاكة اخرى تنخر عظم هذه الامة المسكينة التي لم يبق لها الا الانين

الا تعلمون يا قوم ان هذه البلايا التي اجتمعت علينا شأنها ان تؤدي بنا الى الفناء والانقراض فكأننا نريد ان نعين على محو هيكلنا من الوجود لتخلو الدار لمن يريدها بدون مزاحم ولا مشارك وهو العالم بطرق استثمارها والانتفاع بخيراتها . الا تعلمون ان هذه السموم زيادة على تأثيرها على قوى متناولها الجسمية والفكرية فهي تسلبه صحته الجيدة وعقله الناضج الذي فضله الله به على سائر انواع الحيوان وتعوضه عنهما جسما عليلا شاحبا منحل الاعصاب لايقدر على شيء وعقلا واهيا وفكرا

جامدا ليس له من العمل الجدي المثمر قليل ولا كثير

فيصبح صاحبه هيكلا فارغا وشبحا واقفا لايرجى منه نفع ولا اي عمل يفيد به نفسه او اهله او قومه فهي الانتحار القريب الذي لاينجو منه صاحبه ولو وضع نفسه في جوف الحوت او كبد السماء

وان من اشد ما يستوقف فكر المؤمل في مثل قضية الحال اننا امة ندعي الاسلام والغيرة عليه والدفاع عنه في وجه كل من يريد استنقاصه او تعييبه

مع ان ديننا من اعظم الاديان حرصا على حفظ بناء الامة من التلاشي والسقوط فقد احاطها بسور منيع بما سطره من القواعد والاصول التي تحفظ عليها هيكلها الاجتماعي وقوتها الجسمية والفكرية . فقد بنى الاساس على قاعدة وجوب حفظ الكليات الخمس وهي – العقل – المال – العرض – النفس – الدين –

ومعنى حفظها وجوب رعايتها وحراستها فرعايتها بالتربية والتنمية والسهر على مصالحها وامدادها بكل ما يقوي ظهورها في الامة وبروز خصائصها والانتفاع بمواهبها فاذا تهذبت ونمت وعرفنا كيف نقدر على استثمار خصائصها . كانت الامة الاسلامية امة علم وعقل غنية بما لديها من اسباب توسعة الثروة شريفة محترمة الجانب وبعبارة شاملة مستجمعة لاسباب الرفاهية والحياة الناعمة القوية النافعة على الحقيقة ومعنى حراستها وضع الحواجز المنيعة في سبيل انتهاك حرماتها والتعدي عليها مباشرة او من وراء ستار فكل ما في الشريعة من الزواجر وقوانين العقوبات والكفارات هو صد لكل معتد يريد انتهاك حرمة كلية من تلك الكليات الخمسة ففي حفظها حفظ الامة وضمان سلامتها وفي انتهاكها فناء الامة وانحلال اسباب رفاهيتها وسعادتها

وهكذا تجد مجموع الاوامر والنواهي خادمة ايضا لهذه الكليات فالاوامر تدخل في باب رعاية هاته الكليات بالتربية والتقوية والتنمية . والنواهي تدخل في باب صيانتها ومنع اليد الاثيمة التي تريد الاعتداء عليها او انتهاكها عن النيل منها

فمما استنه من الشرائع لحفظ العقل الذي هو دعامة الامة ولب قواها الرئيسية السارية في شرايين افرادها تحريم المسكرات والمخدرات وكل ما يمس جوهرة العقل بالتضعيف فضلا عن الازالة فعدت سائر انواع المسكرات والمحدثات في الفكر حالة غير اعتيادية تجعل العقل غير قادر على القيام بعمله العادي بحيث يميل الى التخدر والسكون ويعوقه عن العمل الجدي المثمر عدته محضورا يجب تجنبه والتباعد عنه وبالغت في التحذير منه حتى عدت القليل منه الذي لا يحدث هذا التاثير السيء في العقل مثل الكثير احتياطا لحفظ العقل ومبالغة في حراسته وتنبيها على ماله من المنزلة والمكانة عند الشارع فان القليل قد يجر الى الكثير فيخشى من استعمال القليل ان يكون مدعاة الى الاستزادة

منه حتى نصل الى المقدار المضر فنقع في انتهاك ما يحرص الشارع غاية الحرص على انمائه وحفظه من كل ما من شانه اضعافه فضلا عن الاضرار به

ولقد عد الشارع الخمر مفتاح الشرور (١) وام المهلكات وينبوع الفجور فبالغ في التحذير منها والاغراء بالتباعد عنها صونا للعقل وحفظا له من سمومها فقد حرمت الخمر في القرءان ثلاث مرات كما جاء في مسند احمد واعلن الشارع تحريمها جملة بعد الاستيناس لذلك بتحريمها في حالات خاصة فامر صلى الله عليه وسلم بالخمر فاهريقت بعد تحريمها في اسواق المدينة

وفرض اقامة الحد على شاربها (٢) هذا زيادة عما توعده به من الطرد عن رحمة الله (٣) وحرمانه من شربها في الآخرة (٤) كما توعده العذاب الاكبر (٥) كل ذلك تنفيرا منها وايذانا بعظيم خطرها، وليلحق بها كل ما كان من نوعها في الاسكار والتخدير من سائر انواع الكحول والنشوق اذا كان مفعوله كمفعولها في غير الحد لانه لا يثبت بالقياس كما قرر في الاصول فليعتبر المؤمن بهذا وليتق الله ربه . وما الله بغافل عما يعملون

محمد الهادي ابن القاضي

# سعادة الامة بتعاون افرادها

بقية المنشور بصفحة ٤٠٠

ومع كل هاته الشدائد التي يقاسونها وهاته النكبات التي يلاقونها فهم ما زالوا دائبين على مواصلة الجهود لحفظ دينك القويم ولغة كتابك المبين ليقوموا بتبليغهما لابنائك اجيال العصور الاتية

فلا اخال واحدا من ابناء الامة التونسية يبخل بفرنكين في الشهر يقدمها لجمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه تخفيفا لبلواء من انقطع من ابنائهم لحفظ علوم دينهم القويم وقانون حياتهم الحكيم والذود عن حياضه

ايها التونسي النبيل بتقديمك هذا المقدار الزهيد تكون معينا على بث المعارف في قومك تكون عاملا على حفظ دينك ولغتك تكون مخففا لبعض من بلواء المصابين والخروج بهم من هاتيك التعاسة التي خيمت بكلكلها الثقيل عليهم

بتقديمك فرنكين فقط لهاته الجمعية تكون منقذا لبعض افراد امتك من داء الجهالة العمياء منقذا لهم من ظلمات مستقبلها الوخيم محققا لهم السعادة ولامتك الهناء ورغد العيش

بتقديمك فرنكين تكون دارئا عن امتك عارا يلحقها ممن لم يتذوقوا طعم العلم وتهذيب الاخلاق الذين يصبحون قذى في اعينها مجلبة الخزي والعار لها فحققوا الامال فيكم وقوموا بواجبكم

---

(١) في سنن ابن ماجة ومسند احمد الخمر مفتاح الشرور

(٢) في سنن ابي داود والترمذي وابن ماجة ومسند احمد من شرب الخمر فاجلدوه

(٣) في سنن ابي داود وابن ماجة ومسند احمد لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها

(٤) جاء فيما رواه الستة من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة

(٥) في مسند احمد مدمن الخمر كعابد وثن وزاد الطيالسي في مسنده وجزاؤه جهنم

# الوعظ والارشاد

## خطبة منبرية

الحمد لله الذي امرنا بالاستقامة . وحذرنا من الوقوع في هاوية الفساد ونصب عليها علامة . فشرع لنا الاسلام وارتضاه لنا دينا . وخصنا برسوله الاعظم من بين سائر الامم الغابرة . فقام باعباء الرسالة فكان رسولا امينا . احمده سبحانه وتعالى على نعمائه . واشكره جل جلاله وأستمنحه ان يهدينا طريق اصفيائه . واشهد ان لا اله الا هو الكبير المتعال . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله نور الجمال . وروح الجلال وبهاء الكمال . وسر الفضيلة والافضال . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . وفي سبيل الله جاهدوا وقاوموا . وباعباء هذا الدين قاموا . فما ضعفوا ولا استكانوا . ولا ذلوا ولا استلانوا . رضي الله عنهم رضوا عنه واعد لهم اجرا عظيما .

اما بعد فيا معشر الموحدين . ما لي اراكم عن تعاليم الاسلام معرضين . وبسفاسف الامور مشتغلين . خيم عليكم الجهل فظننتم الرذيلة فضيلة . وانعكست الحقائق ولم تنتج في الاصلاح أي حياة استحسنتم تقليد الافرنج فضاعت خطاكم . واهملتم شؤونكم العامة والخاصة حتى تحكم فيها سواكم . اضعتم تراث الاجداد ثم رفعتم اصواتكم هل من مجير . وهتكت الاعراض على مرأى ومسمع من العظيم والحقير واذا خاطبت احدا اجابك ان الاقلاع عن ذلك امر عسير . وان هذا لعمري جواب من لا يحسن التدبير .

يا قوم ان الخطب قد اشتد . وبلغنا في الاستهتار بالمحارم الى ابعد حد . فما هذه الموبقات وتلك المنكرات التي تقع في كل وقت وحين . ممن ينتمون الى الدين ويدعون انهم من المسلمين . والدين من اعمالهم يتفجع . والاسلام من شناعة ما ارتكبوه يتوجع . نساء كاسيات عاريات . مائلات مميلات مازورات غير ماجورات . ورجال ماضون في ارتكاب السيئات . راضون باتيان المنكرات . وشبان مرقوا من الدين . وتركوا طريق المسلمين . وها قد حل موسم الصيف بفجائعه . وجاء زمن الحر بفظائعه . فترى الفضيلة يجهز عليها في الطرقات وسوق الرذيلة تروج على شواطىء البحار وفي المنتزهات . وفي المصائف يعتدى على الاسلام امام الآباء والاخوة والاعمام

ولا تقولوا ايها الاخوان هم المذنبون . ونحن العابدون . ولا تقولوا هم المارقون . ونحن المسلمون المخلصون . فان العذاب اذا نزل يعم الفاسق والصالح . ويشمل العابد والطالح ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة )

فابحثوا معي ايها الاخوان عن الاسباب .

ما السبب في هذه الاباحة التي غمرت عقول المسلمين . ما السبب في هذه الشناعة التي اصبح خطرها يشمل غير المستهترين . ما السبب في هذه الرزايا التي عمت الشبان والشابات . ما السبب في هذه الفوضى التي تركتنا لا نتحاشى عن السيئات . يا قوم ان سببها ترك التواصي بالخيرات . والتناهي عن الشرور والآفات . واهمال الامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . سببها التهاون بالتعليم الديني والتربية الاسلامية . حتى صار الولد ينشأ ولا يعرف من الدين شيئا فتلك هي البلية . الله الله عباد الله

راقبوا خالقكم فيما وهب لكم من البنين والبنات . وأحسنوا تربيتهم على القواعد الاسلامية ولا تزجوا بهم في مواطن المهلكات .

لقنوهم القرءان وادبوهم بآدابه . واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فيما كان يؤدب به اصحابه وذكروهم في الله وما يقرب لديه . وانشروا بينكم سيرة رسوله ( صلى الله عليه وسلم ) كي يتخلقوا بها فان المرء يشيب على ما شب عليه .

ولا تاخذكم فيهم رافة وانصحوا المسلمين كافة . وقاوموا اهل الدعارة ولو كانوا من الخاصة

واخرج الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : خالفوا المشركين : وفروا اللحى واحفوا الشوارب .

وروى البخاري من طريق ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل . وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل قلبه معلق في المساجد . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

وفقني الله واياكم لصراطه المستقيم . واجارني واياكم من عذابه الاليم . وحشرنا جميعا تحت لواء رسوله الكريم . الا ان احسن در تشنفت به الاسماع . وابلغ وعظ تميل اليه الطباع . كلام مولانا العزيز المطاع . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

صدق الله العظيم .

# احتفال جمعية اعانة الضعفاء

## من تلامذة الجامع الاعظم بفتح ( مدرسة الهداية )

اقامت ( جمعية اعانــة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم ) مهرجانا كبيرا بمناسبة فتح ( مدرسة الهداية ) التي حبسها الفاضل الخير التقي السيد الحاج احمد بن الامين لسكنى التلامذة الذين تعولهم الجمعية المذكورة . وها نحن نـقدم لقرائنا الافاضل وصف المدرسة المحتفل بافتتاحها ووصف الاحتفـال البهيج الذي اقيم بها .

### وصف المدرسة

تقع المدرسة بنهج الرابطه عدد ٨٩ قرب الججامين . وهي فسيحة الارجاء . جميلة البناء . نقية الهواء . موضوعة وضعا محكما من حيث الهندسة والتقسيم وكثرة المرافق . وبها طابق سفلي ءاخـر علوي . تحتوي على ستـة وعشرين بيتا معدة لسكنى التلامذة . اصغرها يكفي لسكنى ثلاثة تلامذة بغاية الراحة . واكبرها يسع ستة . فهي في مجموعها صالحة لسكنى مائـة وعشرين تلميذا وتحتوي على مطبخة كبيرة . ومحل لصنع الخبز . ومحل لاكل التلامذة . وقسم كبير ليكون مقـرا لادارة جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم

وهذا زيادة على بيوت الوضوء ومحلات الاستحمام . وبوسطها بئر معينة .

اقيمت هاتـه المدرسة في موضع دارين كانتا معدتين للسكنى . فاشتراهما السيد الحاج احمد بن الامين من ماله الخاص وهدمهما واعاد بناءهما بشكل المدرسة المذكورة . وحبسها على خصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم ادام الله عمرانـه الذين تعولهم الجمعيـة . وجعل نظر المـدرسة من حيث الادارة ومراقبة التلامذة وتوزيع البيوت راجعا للجمعية . فقبلت الجمعية منه هذا التحبيس وقدرت عمله حق قدره . واقامت احتفالا بهيجا بمناسبة فتح المدرسة وتسلمها من يد مؤسسها الفاضل

### وصف الاحتفال

على الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس في ٢٣ جمادى الثانية وفي ٢١ جويلية الجاريين كان موعد الاحتفال المذكور .

وقد زين صحن المدرسة بالزرابي المبثوثة والمقاعد الوثيرة . ووضعت في صدره منصة عاليـة لجلوس الشخصيات البارزة التي ستحضر بهاته الحفلة واستعد رئيس الجمعية حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم وبقية اعضائها لقبول الزائرين . فكانوا يقتبلون الزائرين بانفسهم كل واحد بما يليق به من الاكرام والمجاملة .

وقد اراد جلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي ابقاه الله ان يظهر عنايته بالجمعية وبهذا المشروع فارسل نيابة عنه نجله الاكبر سمو الامير سيدي الطيب باي . وبصحبته صاحب الطابع ورئيس الدائرة السنية سيدي الحبيب العلام . كما حضر صدر الدولة المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة وبصحبته رئيس ديوانه نجله السيد العزيز الاخوة . وحضر فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح المالقي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب بيرم المفتي الحنفي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي . والشيخ سيدي محمد حمده الشريف الامام الاول بالجامع الاعظم ونقيب الاشراف . والشيخ سيدي محمود محسن الامام الثاني بالجامع الاعظم وبعض اساتذة الجامع الاعظم ومدرسيه من الطبقات الثلاث . والشيخ الحبيب بن المختار القاضي قاضي مدينة القيروان . وكثير من الاعيان والفضلاء في مقدمتهم السيد عبد الكبير درغوث الكاهية الملحق بادارة شيخ المدينة نيابة عن الهمام المفضال سيدي مصطفى صفر شيخ المدينة ومتعذرا عن تخلفه كما اعتذر بمكتوب لطيف الهمام السيد محمد سعد الله مدير الاوقاف

وعلى الساعة الخامسة والنصف وقع افتتاح الاحتفال بتلاوة ءايات من القرءان العظيم . وبعد ذلك طلع حضرة رئيس الجمعية الى المنصة واعطى الكلمة لفضيلة شيخ الجامع الاعظم وقال : ان فضيلته يعتبر الرئيس الاعلى لجميع المشاريع والاعمال العلمية

فوقف فضيلة شيخ الجامع والقى خطابا بليغا اثنى فيه على مؤسس المدرسة ودعا له بخير . وحرض الناس على الاقتداء به . وشكر جلالة الملك المعظم على اعتنائه بشان الجمعية وجميع المؤسسات العلمية حيث ارسل نجله الاكبر نائبا عنه . كما شكر دولة المولى الوزير الاكبر على اعتنائه المتواصل بشان جامع الزيتونة وما يرتبط به حيث حضر بنفسه في هذا الاحتفال . ثم شكر مشائخ المجلس الشرعي وجميع الهيئات العلمية . واثنى بالخصوص على جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وعلى الاخص رئيسها الهمام .

وبعد ما انتهى وقف حضرة رئيس الجمعية الشيخ محمد العزيز النيفر والقى خطابا نفيسا كرر فيه الثناء على مؤسس المدرسة وشكر جميع الهيئات التي شاركت في هذا الاحتفال . وخص منها بالذكر من يلزم تخصيصه . وتعرض لاعمال الجمعية باختصار وشكر سائر الناس الذين مدوا لها يد المساعدة وتعرض للاعانة الدولية فذكر ان المجلس الكبير قرر اعانة رسمية للجمعية من عام ١٩٣٧ ولكن وقع سوء تفاهم بين اعمال المجلس الكبير والحكومة نشأ عنه ان تعطلت الاعانة حتى ان الجمعية لم تتصل بها الى الآن . ورغب من الحكومة ان تلتفت للجمعية وتمد لها يد المساعدة نظرا للاعمال الجليلة التي تقوم بها .

وبعد ما انتهى اعطى الكلمة لحضرة الشيخ محمد المختار بن محمود المدرس من الطبقة الاولى

بالجامع الاعظم وكاتب الجمعية . فارتقى الى المنصة والقى خطابا استهله ببيان حاجة الامم الى العلم وانه السبب الوحيد في رقيها . ولا سيما الامم الضعيفة التي تفشى فيها الجهل مثل الامة التونسية فانه يجب عليها ان تبذل غاية جهدها وجميع قواها في سبيل نشر العلم . لا فرق بين العلوم النظرية والعلوم العملية التي بها ترقت الحضارة في هذا العصر وبلغت الى غاية الكمال . ثم تعرض لتاريخ الجمعية وما مر من الادوار على تاسيسها واتى في ذلك ببسطة تاريخية وافية . ثم بين اعمال الجمعية بغاية التفصيل والتدقيق من يوم شروعها في العمل الى شهر جويلية الجاري . ثم تعرض لما بذلته الجمعية من الجهود في جمع المال وما لاقته من المساعدات من عموم التونسيين . وبين ان مالية الجمعية قد ضاقت عن القيام باكثر من الاطعام . وتخلص من ذلك الى الثناء على مؤسس هاته المدرسة الذي سد حاجة الجمعية من هاته الناحية . ثم وجه نداء عاما لعموم الناس ليمدوا للجمعية يد المساعدة . وختم خطابه بتقديم اقتراح لجلالة ملكنا المعظم ابقاه الله بان يبني مدرسة لسكنى تلامذة الجامع اقتداء بعمل اسلافه الملوك العظام .

وبعد ما انتهى وقع الشروع في قراءة قصة المولد للبرزنجي فقرأ القسم الاول منها الشيخ حمودة ابن يحيى . وقرأ باقيها الشيخ محمد غليونجي . وكان ذلك بمشاركة الشيخ حمودة بن المهدي وجماعته الاخيار . وكانت حصة جميلة تعالت فيها الاصوات الحسنة بالاذكار والاناشيد النبوية . وسقى الحاضرون اثناء ذلك انواع المشروبات اللذيذة . واخذت عدة صور للحفلة من المصور القلمي .

وبالانتهاء من ذلك انتهى الاحتفال فودع اعضاء الجمعية ضيوفهم بمثل ما اقتبلوهم به من الاكرام والاحترام . وتبرع بعض الحاضرين على الجمعية اثر الاحتفال بما جادت به هممهم جازاهم الله خيرا .

ونحن نشكر مؤسس المدرسة الفاضل السيد الحاج احمد بن الامين على هذا العمل الجليل الذي قام به . والذي سيخلد له في صفحات التاريخ . وندعو اصحاب الهمم العالية من ابناء بلادنا الكرام الى الاقتداء بهذا المحسن الفاضل . فان افضل عمل يقدمه الانسان بين يديه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا هو فعل البر والعمل الصالح . لا سيما ماكان في سبيل نشر العلم وتسهيل سبل تحصيله .

كما نشكر المشايخ الاجلاء اعضاء مجلس جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم سيما رئيسهم الهمام على مالهم من الاخلاص نحو هذا المشروع الجليل . وعلى المجهودات القيمة التي يبذلونها دائما في سبيل نجاحه . والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

---

# شذرات نقدية

على هامش المقال المدرج بصحيفة ٧٣٢ من العدد ٢٥٢ من مجلة الرسالة المصرية الفيحاء تحت عنوان آراء حرة بين العقاد والرافعي للاستاذ سيد قطب فعن لي ان علقت عليه ما ياتي ٠

لا يخفى ان ناقد الادب كناقد الذهب القائم بجهبذته على معرفة ذوقه وعياره فكما ان لنقد النضار في النظم العمرانية اثره وجدواه كذلك لنقد الشعر في تقويم العالم الادبي تحريره ومزاياه اذ به احقاق الحق وابطال الباطل وانضاج الادب واذكاء جذوته والهز من عطف ذويه حتى تنشط مواهبهم للابداع وتدب فيهم الحياة ومن احياها فكانما احي الناس جميعا

بيد ان هذا النقد لا يفعل مفعوله الا اذا سوته الامانة والنزاهة ونفخ فيه الاخلاص من روحه فاذ ذاك تتلقاه العقول بالقبول وتضل له الاعناق خاضعة

والا فما هو من عمل المصلح لما ينجم عنه من تكدير موارد الفطرة ووأد المواهب واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت ...؟

ماكان هذا ليذهب او ليتوارى بالحجاب عن بصارة الماسوف عليه المغفور له الاستاذ الرافعي وهو من هو علما وحكما حتى يقول في نقده لقول العقاد

التي لهن بقوسه « قزح وادبر وانصرف    فلبسن من اسلابه » شتى المطارف والطرف

فقزح لا يلقي قوسه ابدا اذ لا ينفصل منه قال في اللسان « لا يفصل قزح من قوس » فاذا امتنع فكيف ادبر وانصرف الخ

اني لاعوذ للاستاذ الرافعي بالله ان يكون هذا النقد هو ما استيقنته نفسه الكبيرة المحلقة بالحد الاعلى في البلاغة حتى يسجله في سجل النقد وهو انمد البصائر ويتركه آية في العالمين

ولكنها العاطفة الغالبة جرف سيلها فما استطاع التخلص من غمراته

ثم من انبأك ايها الاستاذ بان المقام مقام تحقيق وحس حتى تتحرى وتهب لجلب النصوص في رد تلك الدعوى أذهب عنك ان المقام خطابي وان الشعراء يقولون ما لا يفعلون ولا يعتقدون ماكان العقاد وهو من هو ايضا ادبا ونبوغا ليتغلغل في البله والفهاهة لهاته الغاية

وانما هو شاعر تأدى به خياله على ضوء قولي الاسم (قوس) والمسمى فرأى الوصلة مستحكمة بين قوسي السحاب والنشاب فشبه ورشح وتظرف ما شاء وتماح فجعل بين قوس قزح وبين الحسان بشاطيء استانلي منافسة في الحسن والجمال افضت بهما الى المقاتلة والحراب فصال هذا بقوسه ونشابه

وصال الفريق الآخر برماح القدود ( وتفاح ) النهود وسيوف الاعين النجل التي هي امضى موقعا من كل هندي وكل يماني فهبت الصبا لمناصرة من باريتها رقة ولطافة فاصبحن المؤيدات الظاهرات والقى لهن القرن بسلبه ونكص على عقبيه

على ان العقاد في ذلك لم يجيء ببدع من القول فلقد سبقه اليه من يقول

يطرزها قوس السحاب باحمر ☼ على اصفر في اخضر تحت مبيض ☼ كاثواب خود أقبلت في غلائل ☼ مصبغة والبعض اقصر من البعض ☼

فهذا هو سلفه الذي استحدث هذا التشبيه والعقاد انما هو مطوره والمتصرف فيه التصرف المالوف امثاله في الصناعة

ولعمري انه لقد تظرف ما شاء في تصرفه حتى لا يكاد يشعر بالماخذ وهذا نمط من اتقان الصنعة ومهارة الصانع يخرج به التشبيه والاستعارة من حد الابتذال الى العزة والندرة ولهم فيه مئارب اخرى يتبين ذلك لمن خالط دواوين الادب وبصر بوجوه النقد

اذن فلسان حال العقاد يقول

اذا محاسني اللاتي اصول بها ... كانت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر

ثم اني لا ارى تسمية العقاد عقادا الا ظاهرة من ادراك حرفة الادب التي تقعد لكل اديب بالسوي من صراطه

والا فهو حلال لاعقاد، وتسميته بذلك انما هي من اسماء الاضداد

فلقد فتح لي الوقوف على بيتيه الظريفتين الباب فتطرقت الى تشبيه ذلك القوس من ناحيتين لم اعلم لي من قبل فيهما سميا اذ قلت

كان الغواني وقوس السحا ... ب لدى لهوهن بشاطيء البحر
عقال حرير تخطينه ... بقفز فما نالهن ضرر
وتحسبه السمط احكم فتلا ... تدلى لينظم تلك الدرر
فما نالهن اعتقالا ونظما ... وفي حبلهن قلوب البشر

هذه حسنة العقاد اعترف له بها حتى اكون ممن اسكن الدار بانيها واعطى ( القوس ) باريها

وختاما امت الى كل اديب بالصلة الادبية واستشفع اليه بذمة الادب وحرماته وبما لديه من حرص على نموه وحياته ان يربأ به عن الغايات ابقاءا عليه واكبارا لجانبه وان في عموم النواحي لمندوحة عن ناحية الادب المقدس والحق لا يخفى على ذي بصيرة

الناصر الصدام

( المدرس بجامع الزيتونة )

# الادب

القى الشاعر المجيد الشيخ محمد المقداد الورتتاني قصيدة غراء على مسامع المولى الوزير الاكبر يوم سفره لفرنسا الاستشفاء بمياه بلد موندور المعدنية واليك هي

سفر الوزير موفق مامون ورجوعه عقب الشقا ميمون
الف الترحل مغنما وتبصرا والسير مضمون المنى مسنون
تسعى اربة ان يزور ربوعها ولها بذلك مغنم وشئون
وتود طول حياته وهباته ومياهها لشفائه عربون
واروبة دار العلاج لبرئنا لكن لها في الطائرات منون
مثل السحاب به الندى وصواعق والجد فيها بالغ ومجون
لحقت وفاقت من مضى بمعارف ولها باعمال الرقي قرون
فالاجتهاد والاتحاد شعارها لما النجاح عليهما مرهون

❁ ❁ ❁

ثغر التجارة في اربة باسم وافى به للقا الوزير الرون
وليون تقبله بقلب فرنسة يجري الى الترحاب فيها الصون
شحت به مندور عن فيشي واف يان ونعم الجوهر المكنون
واذا تموز اصهرتنا ناره فهواء مندور به كانون
ضنت بهاد وهو عنوان الهدى ان الشريف بفضله مضنون
شمخت انوف جبالها تيها بمن شهدت اليه الغرب والجابون
واذا اميركة سألت سفيرها عن صدر تونس قال واشنطون
فاذا تكلم فهو سحبان وان خاض السياسة فهو افلاطون
واذا يشبه بالكواكب رفعة فمقامه الاعلا بها نبتون
اخلاص الاخوة للامير وقطره بتقى الاله كلاهما مقرون

❁ ❁ ❁

متأزر بعزيمة ونزاهة فكانه لاميره هارون

ومناه ان حظوظنا موفورة ومدى الحيا تاج الامير مصون
حسنات احمد جمة واهمها هذا الوزير به تقر عيون
فالقطر من اعماله وخلاله ويراعه ودفاعه ممنون
لوزير تونس خلة معروفة الصدق والاخلاق والقانون
حصن الشريعة والامير حفيظها فرئيسها النعمان او سحنون
ورجا العلوم واهلها فهم كمن انسابهم زيدون او خلدون
منن الوزير كثيرة واقلها من دونه الالاف والمليون
فاعتاض من تلك الثنا ثمنا لها يا حبذا المنقود والمثمون
وامتاز شاعر تونس بمديحه وانهل منه النثر والموزون

❁ ❁ ❁

يا راكبا جفن البحار بذاته وخياله ما قد حوته جفون
يا ليتنا كنا بشيكاغو التي فيها البعيد يريه تليفون
فالصدر يرحل والصدور مقره وله صدور الساكنين حصون
ولكائد ومضادد ولحاسد فرط الاهانة واللئيم يهون
هذا القريض مخلد ذكراكم ورواته احفادنا وبنون
لا يزدري بلسان صدق بعده الا الذي بغروره مفتون
فالشعر لا تبلى سبائك تسبره ونعيه من بعد السنين سنون
وتزيد في تعليقه وعلوقه حكم حوى اعلاقها وفنون
والذ مرغوب به تنويعه ان الحديث كما علمت شجون

❁ ❁ ❁

سر في حمى شرف الرسول وءاله وبهم لديكم ما تريد يكون
في منعة ووديعة اللطف الخفي ذات الوزير وفلكه المشحون
يحميه ما يتلوه قربة عابد قاف وصاد في الكتاب ونون
لاقت من الاسفار حفظا بداءها ومعادها حركاتكم وسكون



# اعمال مجلس اصلاح التعليم

## بالجامع الاعظم

اخبرنا في عدد صفر المنصرم بانعقاد مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم بعد انضمام عدة افراد لاعضائه الاصليين من بين رجال العلم والادارة . للنظر في المطالب الزيتونية . ولخصنا ما وقع في الجلسة الاولى من الاعمال . واشرنا الى ان جلسته الثانية تعين انعقادها ليوم السبت ١٥ صفر و١٦ افريل المنصرمين . ولكن طرأت موانع افضت الى تاخير الاجتماع عن الموعد المذكور .

ثم بعد تهيء الاسباب انعقدت الجلسة الثانية في يوم السبت ٢١ ربيع الاول و٢١ ماي المنصرمين على الساعة الرابعة مساء بدار الباي ( في بيت الفطور ) (١) تحت رئاسة وزير القلم والاستشارة الشيخ باش كاتب سيدي احمد بن الرايس . وحضرها من الاعضاء الشيخ سيدي صالح المالقي والشيخ سيدي محمد العزيز جعيط والشيخ سيدي بلحسن النجار والشيخ سيدي الطيب سيالة والمشايخ السادة : الصادق المحرزي ومحمد الصالح بن مراد ومحمد الزغواني ومحمد المختار بن محمود ومحمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي واحمد شلبي والتهامي الزهار والصادق ابو السرور وعلي التريكي والسادة محمد بن الخوجة ومحمد قاسم ومصطفى صفر ومحمد سعد الله والبشير البكري والصادق التلاتلي ومصطفى الكعاك وحضر الشيخ عبد العزيز بن شعبان والسيد محمود بن عثمان كاتبا الجلسة

وتخلف الشيخ سيدي احمد بن مراد والشيخ السيد معاوية التميمي لعذر

وقد ذكر جناب الرئيس في افتتاح الجلسة ان الغرض اليوم هو تقسيم اعمال المجلس وتكوين لجان فرعية لتنظر في المطالب المعروضة

وبعد محاورة تقسيم اللجان استقر الراي على تكوين لجنتين فرعيتين تسمى احداهما ( اللجنة العلمية ) وتسمى الاخرى ( اللجنة المالية ) وتختص الاولى بالنظر في المطالب المتعلقة بالاصلاح العلمي وما يرتبط به . وتختص الثانية بالنظر في المطالب المتعلقة بالناحية المالية وما يتعلق بها .

وكان من المتعين ان تسند رئاسة اللجنة المالية لفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط ورئاسة اللجنة العلمية للشيخ سيدي بلحسن النجار ولكن لما عرض ذلك على فضيلة الشيخين امتنعا من القبول مفضلين عدم الاشتراك في اللجان الفرعية بالمرة والاقتصار على المناقشة في اللجنة العامة . وقد الح الحاضرون على فضيلتهما بالقبول لان ادارة مثل هاته اللجان التي لها صبغة فنية علمية انما يصلح لها امثالها ولكنهما اصرا على الامتناع . وعند ذلك اقترح جناب الرئيس اسناد رئاسة اللجنة العلمية للسيد محمد ابن الخوجه واسناد رئاسة اللجنة المالية للسيد محمد سعد الله فوافق الحاضرون على ذلك .

---

(١) هذه البيت في سراية المملكة معدة للطعام عند ما تقع احتفالات رسمية يحضرها مولانا الباي المعظم وفيما سوى ذلك فهي معدة للجلسات العامة التي تعقدها الحكومة لمهمة من مهمات الدولة

ثم انتخب بعد ذلك اعضاء كل من اللجنتين . فانتخب للجنة العلمية المشايخ السادة الصادق المحرزي ومحمد الزغواني ومحمد الفاضل بن عاشور ومعاوية التميمي والصادق التلاتلي والتهامي الزهار علي التريكي

وانتخب للجنة المالية المشايخ السادة محمد الصالح بن مراد ومحمد المختار بن محمود والشاذلي بن القاضي والبشير البكري ومصطفى الكعاك واحمد شلبي والصادق بو السرور

ثم وقع النظر في جملة المطالب المعروضة على اللجنة من طرف الدولة بصفة مجملة ليرجع كل مطلب الى اللجنة المختصة به . وقد تلى كاتب الجلسة جملة المطالب التي كانت قد طبعت من قبل ووزعتها الادارة على اعضاء المجلس . وقسمت الى مطالب علميه ومطالب ماليه . وعلمت كل لجنة المطالب الراجعة اليها وانتهت الجلسة اثر ذلك

وبعد انتهاء الجلسة اجتمعت اللجنتان الفرعيتان . واتفقتا على برنامج العمل ومواعيده . وانتخبت اللجنة العلمية الشيخ الصادق المحرزي نائبا للرئيس والشيخ محمد الفاضل بن عاشور مقررا عاما وانتخبت اللجنة المالية الشيخ محمد الصالح بن مراد نائبا للرئيس والشيخ المختار بن محمود مقررا عاما

ثم توالى اجتماع اللجنتين بعد ذلك في دار الباي . ورغما عن اشتداد الحر فقد كانت الجلسات تقع باستمرار وتستغرق ساعات طويلة حرصا من اللجنتين على انجاز اعمالهما في اقرب وقت

وبعد ما انتهت كل لجنة من عملها عقدتا جلسة مشتركة على الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ٢٩ ربيع الثاني و٢٧ جوان المنصرمين للمفاوضة في بعض المطالب التي لها شائبة تتعلق بكل لجنة

ثم سلمت كل من اللجنتين تقريرها للدولة في اوسط شهر جمادى الاولى وجويلية المنصرمين . ولم يبق الآن الا عقد الجلسة العامة لتنظر في تلك المقرارات حتى يقع عرضها على الدولة بصفة رسمية ليقع انجازها بحول الله

والى ساعة كتابة هذا لم تاذن الدولة بعقد الجلسة العامة . ونحن نرجو من الدولة ان تاذن بعقدها في اقرب وقت قبل انتهاء الراحة الصيفية حتى لا يجيء العام الدراسي الجديد الا بعد تهيئة الاسباب للعمل بمقررات المجلس . وحتى يضرب بسهم في ميزانية السنة المقبلة للمقررات التي تتوقف على تقرير اعتمادات مالية . اذ بعد امد قريب تشرع الحكومة في تقرير الميزانية الجديدة . وتقرير الاعتمادات المالية المطلوبة في صلب الميزان احسن من الحاقها من بعد في اثناء جلسات المجلس الكبير

( ملاحظة ) نشرنا في العدد السابق خطبة فضيلة شيخ الجامع الاعظم التي القاها في افتتاح مجلس اصلاح التعليم . ولم ننشر الخطبة التي القاها جناب المقيم العام م . ارمان قيون في افتتاح الجلسة المذكورة ولم يكن ذلك عن اهمال منا بل كنا نود نشرها تسجيلا لجميع ما وقع في تلك الجلسة . لا سيما وخطبة جناب المقيم العام لم تكن من الخطب الادارية الجافة بل هي خطبة ذات صبغة علمية ونظرة فلسفية وفيها اعتراف بما لجامع الزيتونة من الايادي البيضاء على الثقافة العامة بهذه البلاد . ولكن الجرائد اليومية لم تنشرها فلم نتمكن من نقلها عنها . ثم طلبناها من القسم الاول فاجابنا رئيس القسم الاول بعد تكرير الطلب بانه غير ماذون بتسليمها الينا

وقد تعجبنا من ذلك كثيرا . لاننا لم نعهد ان خطابا رسميا يلقيه ممثل الحكومة الفرنسية في مجلس رسمي يقع اغفاله وعدم نشره في الصحف اليومية ثم تطلبه مجلة تريد نشره فلا يجاب طلبها .

وغالب الظن ان جناب المقيم العام عند ما يطلع على هذه الملاحظة سياذن بان يسلم لنا خطابه حتى ننشره في العدد المقبل بحول الله

بريد المجلة

# تقريظ

وافانا هذا التقريظ من الاديب السيد الطاهر بن محمد واردة مذيل بقصيدة في نفس الغرض للعالم الشيخ حسن بن جمعة مقديش يطلب نشرهما ونحن نزول عند ارادته ننشرهما شاكرين للشيخ مقديش والسيد واردة عاطفتهما النبيلة

اليكم ايها السادة الفضلاء والاباء النبلاء هذه يدي ايها الاخوان امدها الى مجلتكم الفيحاء وقلبي ملؤه الايمان بهذا العمل الذي ما اسس الا للدعوة الى الله .ومن احسن قولا ممن دعى الى الله ،لقد بذلتم الجهد في عمل كم صبت اليه النفس وهام به القلب بل وتعلقت باسبابه الروح فها نحن اولاء على ثمرة عملكم وعلى نور جهادكم الصادق تبصر اعيننا ما كنا نتمنى ونرجو وتلمس ايدينا ما كانت منه هواء

كلمتي اذيعها من أعماق قلبي وان يتلقاها الا قلب ملؤه التيار الذي به اتصلت - ومنه استمدت وفيه اندمجت ، ذلكم التيار القوي الذي يهز النفوس ، ويحرك الشعور ويملك الحواس ويفيض على النفس غبطة وطمأنينة . ذلكم التيار الذي لا يعرف الحياة من لا يعرف تيار الحب في الله ، والايمان بالله والاستعانة بالله .

من ذا الذي يتمارى في نور يربط القلوب شعاعه اللين الهادي وقد ارسله بدر الدهر في تمامه الى ساحة الاخوة البريئة يفيض عليها ويغمرها من بحر الرحمان الذي بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بخير الاديان

ومن ذا الذي يتمارى في نور مشرقه عامر الصدور ، ذلكم النور القوي الذي اطلقه منار راسخ وقف في خضم الحياة على صخرة عاتية هي صخرة النجاة التي اسسها اخوان من المؤمنين ونخبة من العلماء العاملين ، اسسوها على تقوى من الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم

ذلكم النور مبعثه هذه « المجلة الزيتونية » تشرق به في غرة كل شهر عربي على العقائد فتهتز وتربو وعلى النفوس فتحيا وتنتعش فمرحبا بها ما غدقا بين قوم عطاش ، مرحبا بها نورا مبينا في هذه الدياجي المظلمة ، مرحبا بها يدا عاملة قوية ترفع المشمل فوق الرؤوس ليدخل الناس افواجا في دين الله الحكيم وشعورا سنة سيد المرسلين الكريم .

اني ارى لزاما علي وعلى كل مسلم ان اثني على هذا المجهود المبارك وهذه المصلحة الجليلة المفيدة فجميعنا يعلم ما لهذه المجلة من خدمة الدين وبث تعاليمه كما نعلم ايضا ان هذه الصحيفة لجماعة من خيرة جامع الزيتونة المعمور ، فها هي قد بسطت اجنحتها الكريمة على كثير من بلدان القطر وقرائه

فانشأت فيها فروعا واكبر الامل معقود على همتهم في بسطها على سائر المدن والقرى اعانهم الله ووفقهم الى ان يسيروا بها الى اعلى درجات الرقي « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»

وقبل الختام ارى لزاما علي ان ادلي بهذه القصيدة في تقريظ مجلتنا الغراء وقد صاغتها قريحة وشاعرية العالم الفاضل والاديب الكامل شيخنا ومدرسنا ابقاه الله الا وهو الشيخ حسن بن جمعة مقديش حفظه الله ، وها هي القصيدة المذكورة لتنشر مع هذه الكلمة على صفحات مجلتنا الغراء

يا طالب العلم الصحيح واهله فاسمع هديت لبقية الانسان
زيتونية الاسلام تأتي بالذي يشفي الغليل وسائر الاحزان
قد خصها المولى الكريم بقادة الـ فكر الصقيل ومنبع العرفان
اني رأيت ورب زمزم والصفا قد ساد اهلوها على الاقران
فاعلم علوم الحق يا سامي النهى واشكر لفضل اولئك الاخوان
يا حبذا العلم الصحيح واهله أهل التقى والدين والاحسان
يكفيك ان رمت المكارم منهل يمح الشكوك وسائر الادران
فقه الجريدة مع فنون علومها فن الحديث ومعرض القرءان
لعمر ابيك ما تجاهل فضلها الا صريع الحسد والعدوان
قامت تروم البدر في نيل العلا قامت تحاكي الشمس في التبيان
خاضت بحورا قد تلاطم موجها جثت جذور الزيغ والبهتان
شادت حصونا يا لها من حكمة قد دونت في عالم الانسان
ترى سلسبيل القول من نفثاتها ترى عظيم الدر في الميزان
جاءت بتبر الذهب في ورقاتها جاءت بروح الدين في العنوان
ورق صقيل وخطوط قد بدت في رونق حي عظيم الشان
فلابن مقلة والمليك يسم على مطبعة لاولئك الاخوان
صرخت بمجد صرخة قد ارعبت كل العدا في حومة الميدان
جمعت جموعا لن ترى لصفوفها الا بنود النصر والسلطان
تاهت على العشاق بفرط جمالها ويراعها السحار للاذهان
مجنون ليلى ان يدم لزمانها ازرى بليلى ربة الغزلان
وكثير عزة لو راءها ساعة نسي الجمال وبهجة النسوان
خليل عنيزة ابو سعى لركابها صاغ القريظ وجد في الاوزان
فلست اعني الغانيات من النساء ولا من يضيع العمر في الخسران
فهن الفانيات بلا خلاف وهن الملحقات بلا توان
ولكنها شمس المعارف والعلا تسطو على شمس الجمال الثاني
فهيا اقبلوا ثم اجتنوا ثمارتها عظيما تروا في ازهد الاثمان
فقصارى القول فيها انها قوت القلوب وبغية الانسان
اقول صدقا انها في سيرها نسيج هذا العصر والديوان
كفى بسطتها للمهيمن طالبا نشرا يدوم لها مدى الازمان
ثم سلام الله يتلى دائما لمن يبل الشوق للظمئان

( تم المجلد الثاني للمجلة الزيتونية )

# اصلاح اخطاء مطبعية في المجلد السابع من المجلة

| صفحة | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢٩٦ | ١٣ | المتدي ( مرتين ) | المتعدي |
| » | ١٦ - ١٧ | لا يتعوم معناه الا بتصور | يتقوم معناه بمجرد تصور |
| » | ١٨ | وهو المتدي | فهو المتعدي |
| » | ٢٢ | بالفعل | بالحدث |
| » | ٢٧ | لتصحيل | لتحصيل |
| ٢٩٧ | ٢٣ | احيب عنه | جوابي عنه |
| ٢٩٨ | ١ | في الدين حرج | في الدين من حرج |
| » | ٢١ | سوءا | سوأى |
| » | ٢٣ | لانها الهداية | لان الهداية |
| » | ٢٤ | الاخري | الاخروي |
| » | ٢٥ | تعلن | تتعلق |
| ٢٩٩ | ٣ | فالموصول | فالاتيان بالموصول |
| » | ٩ | والقول في المطلوب ( الى نهاية سطر ١٠ ) | ( يحذف ) |
| » | ١٩ | فطلب | وطلب |
| ٢٩٩ | ٢٢ | فترتبت | فتترتب |
| ٣٠٠ | ٧ | العصبية | الغضبية |
| » | ١٦ | فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما | فيجوز ثبوت احدهما آه ولما |
| » | ١٩ | المنفي | النفي |

# فهرس العدد